تتناول هذه المذكرة الأكاديمية المتواضعة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر السياسة التوسعية للإستعمار **الفرنسي في الجزائر تحت عنوان: الإحتلال الفرنسي لمدينة مليانة 1840م.**

فجاء الفصل الأول تحت عنوان التطور التاريخي لمدينة مليانة ، **أما الفصل** الثاني كان تحت عنوان مليانة مقاطعة من مقاطعات الأمير عبد القادر بين **1835م** – 1840م ، أما الفصل الثالث تناولت فيه إحتلال مدينة مليانة ونهاية المقاومة الوطنية بها **1840م**.

مما سرع في زوال نفوذ دولة الأمير عبد القادر عن منطقة مليانة عاصمة الوسط **الغربي** الإستراتيجية من جهة، وسهل من توغل الإستعمار الفرنسي فيها من جهة أخرى فإستطاع من خلال ذلك ربط أهم المدن المستعمرة في الغرب بمدينة كوهران ومستغانم بالجزائر العاصمة،فكان ذلك بداية نهاية دولة الأمير عبد القادر وزوال السيادة الوطنية في مليانة.

جامعة الجزائر2

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

الاحتلال الفرنسي لمدينة مليانة 1840م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

إعداد الطالب:

محمد عبداللطيف بليلة

إشراف الأستاذ:

الدكتور ابن يوسف التلمساني

السنة الجامعية2012-2013.

جامعة الجزائر2

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

الاحتلال الفرنسي لمدينة مليانة 1840م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

إعداد الطالب:

محمد عبداللطيف بليلة

إشراف الأستاذ:

الدكتور ابن يوسف التلمساني

لجنة المناقشة:

د. حمزي كمال .....رئيسا.....

أ.د تلمساني بن يوسف.....مشرفا ومقررا.....

د. محمد بلقاسم.....عضوا.....

د. محمد ودوع.....عضوا.....

السنة الجامعية2012-2013.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى الوالدين الكريمين حبا ووفاء....

إلى الزوجة.

إلى البرعمين الصغيرين إبراهيم ومريم.

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي

ألهمني الصبر و التوفيق لانجاز هذا العمل .

أتقدم بخالص الشكر إلى من منحني ثقته الكاملة في إعداد هذه الرسالة لأتصرف فيها بملء إرادتي، حاضيا بلب توجيهاته الأستاذ المشرف

الدكتور: بن يوسف التلمساني

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة القسم وعلى رأسهم أساتذة ما بعد التدرج.

إلى كل العاملين بالمكتبات ومراكز البحث المتخصصة.

فشكراً

.عبداللطيف.

قائمة المختصرات

ج	جزء
د. م. ج	ديوان المطبوعات الجامعية
د.غ.إ	دار الغرب الإسلامي.
د. ت	دون تاريخ
ط	طبعة
ط.خ	طبعة خاصة
م	مجلد
م. و.د. ب.ح. ث	المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
م.و.د.ت	المركز الوطني للدراسات التاريخية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
ع	عدد
ف.ف	فرنك فرنسي
ص	صفحة
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
تح	تحقيق
تق	تقديم
تر	ترجمة
تع	تعليق

LISTE DES ABREVATIONS

A.N.E.P	Agence National d'Edition et de Publicité
Ed	Edition
Imp	Imprimerie
N.É	Nouvelle Edition
P	Page
Pr	Préface
R. A	Revue Africaine
SE	Sans Edition
S.D	Sans Date
T	Tome
V	Volume

مقـــدمـة

تتجه الدراسات التاريخية الحديثة إلى الاهتمام بالدراسات المونوغرافية، أي دراسة التاريخ المحلي لمنطقة أو إقليم من البلاد، والهدف من ذلك هو إبراز دور ومساهمة ومكانة هذه المناطق في التاريخ الوطني العام، لأن بناءه ينطلق من أساس الدراسات المحلية.

إن نجاح الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830، والذي تبعه احتلال لأهم المدن الساحلية الرئيسية كوهران، وعنابة..في إطار سياسة ما يعرف بمرحلة الاستعمار الضيق ما بين 1830 و1840، بحيث ساهمت عدة عوامل في فرض هذه الوضعية على الاستعمار الفرنسي أولها المقاومة الشعبية في متيجة وأوطانها، وثانيها قيام دولة الأمير عبدالقادر بمعسكر سنة 1832، واتساعها نحو الوسط والشرق بضمها لأهم المدن الاستراتيجية الواقعة به، كالمدية، وملیانة، هذه الأخيرة ونظرا لموقعها بين الشرق والغرب كانت في مطلع اهتمامات الأمير عبدالقادر والقادة العسكريين الفرنسيين منذ مطلع الثلاثينيات، ويبرز ذلك من خلال السعي الحثيث للأمير عبد القادر من أجل جعلها مقاطعة من أهم مقاطعاته، ومركزا هجوميا متقدما ضد الفرنسيين، وأما فيما يتعلق بالجانب الفرنسي فإن الحاكم العام كلوزيلClauzel سارع سنة 1835 إلى محاولة ضمها تحت النفوذ الفرنسي بتعيين أسرة إقطاعية لتحكمها تحت الوصاية الفرنسية.

بعد سقوط السلطة المركزية بالجزائر 1830 سارع أهالي مدينة ملیانة والقبائل المجاورة لها كقبيلة حجوط، وريغة في حمل لواء المقاومة الوطنية بقيادة الحاج سيدي السعدي، وبذلك يمكن اعتبار المدينة من المدن الداخلية السباقة في ذلك إلى جانب المدية والبليدة.

وأمام تزايد ضغط المعارضة السياسية في فرنسا بتشكيكها في ضرورة الاحتفاظ أو البقاء في الجزائر دفع الملك لويس فيليبLouis phillipe إلى دفع الدوائر العسكرية الاستعمارية نحو الخروج من مرحلة الاستعمار الضيق إلى مرحلة الاستعمار الشامل، الذي يهدف إلى تثبيت الوجود الفرنسي بالجزائر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالقضاء على المقاومة الوطنية الجزائرية في سهل متيجة أولا، وأهم معاقل قوات الأمير عبدالقادر في ملیانة أهم مقاطعة في دولته.

وانطلاقا من المعطيات التاريخية جاء هذا الموضوع الذي اخترته ليتناول حلقة هامة من تاريخ مدينة ملیانة في ظل التوسع الفرنسي، باعتبارها نقطة ارتكاز قوية يمكن من خلالها التوسع في المناطق الغربية

والداخلية، لذا قرر القادة الفرنسيون في إطار سياستهم التوسعية الجديدة أن تقوم بحملات على أهم المدن الجزائرية الداخلية فكانت البداية بالبليدة والمدية لتنتهي في حملة ضد مدينة مليانة سنة 1840.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل طبيعة المخططات العسكرية والاستراتيجية الفرنسية المنتهجة التي تبناها الماريشال فاليValeé، بحيث استطاع أن يحشد الرأي العام السياسي والعسكري لصالحه بهدف تحقيق هذا الهدف لأنه أصبح محل نقد واسع من قبل وزراء الحكومة الفرنسية وحتى القادة العسكريين الذين كانوا تحت خدمته، والكولون والذين جميعهم اتهموه بأنه لم يقدم الكثير لفرنسا وأن سياسته فاشلة، فعمد إلى هذه الحملة من أجل تحقيق الثروة المادية والأمجاد العسكرية التي كان يطمح إليها جميع القادة العسكريين الفرنسيين في الجزائر، فانطلقت هذه الحملة الشاملة مع سنة 1840 تحت غطاء سياسة التخريب الشامل والتي حضر لها الاستعمار بشكل قوي مستغلا كل إمكانياته المادية والعسكرية، لتحقيق الأهداف الإستراتيجية العسكرية التوسعية الفرنسية لهذه الحملة ضد مدينة مليانة.

وعلى هذا الأساس جاء عنوان الدراسة حول " **احتلال مدينة مليانة جوان 1840**" ليثري الدراسات التاريخية مبينا المخططات والأطماع الاستعمارية التي حاولت فرنسا تجسيدها انطلاقا من مشروعها التوسعي الاستيطاني الكولونيالي في مدينة مليانة.

وكان وراء اختياري لعنوان وموضوع المذكرة عدة دوافع، يمكن إجمالها في ما يلي:

1- رغبتي الشخصية الملحة لدراسة تاريخ المقاومة الوطنية التي كانت لي فيها تجربة أولية في مرحلة التدرج، إذ كنت أركز دائما على موضوعات المقاومة الجزائرية طيلة القرن التاسع عشر على الموضوعات الأخرى، لذا كان لي أن أواصل دراستي العليا في هذا المجال.

2- اعتقادي أن الجانب العسكري والسياسي له أهمية في تاريخ المقاومة الوطنية.

3- بما أني ابن المنطقة قد أحسست أنه من واجبي المساهمة في إحياء وكتابة تاريخ المنطقة.

4- إن هذه المنطقة لم تحظى بدراسة وافية قائمة بحد ذاتها باستثناء ما نجده في بعض الكتابات التي تتطرق لتاريخ المنطقة بصفة عرضية لا تكاد تفي الغرض من الدراسات التاريخية المتخصصة، مثل الدراسة-رسالة ماستير المركز الجامعي لخميس مليانة2011- التي أنجزها عباس كبير **'مليانة في عهد الأمير عبدالقادر'**، لذلك رأيت أن أخصص كل جهدي لأضع لبنة عن تاريخ المنطقة منذ احتلالها في القرن 19م.

5-إن هذه المدينة تعد من بين أهم المدن الجزائرية بحيث تجاوزت العشر قرون من وجودها، فقد مرت بعدة مراحل تاريخية وشهدت كثيرا من الأحداث التي لها علاقة مباشرة بتاريخ الجزائر، فهي من المناطق القليلة التي تعددت فيها المراحل التاريخية.

من خلال المطالعة المعمقة والفحص الدقيق للعديد من المصادر التاريخية من مراسلات ومذكرات لشخصيات فاعلة في أحداث هذه الفترة، والمراجع التاريخية المتمثلة في كتابات المؤرخين الجزائريين والفرنسيين وضعت الإشكالية التالية:

ماهي ظروف وخلفيات الغزو الفرنسي لمدينة مليانة؟. وفي ما تمثلت التحضيرات العسكرية والسياسية للحملة؟. ما هو سير وتطور العسكري للحملة؟. وما هي نتائجها؟. وكيف أثرت على أهالي المنطقة بشكل عام؟ وما هي آثارها على الجيش الفرنسي والحامية العسكرية الفرنسية؟. وما هو انعكاسها على السياسة التوسعية الفرنسية؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد خطة موضوعية حسب ما تقتضيه المادة التاريخية المجمعة، فتضمنت مقدمة وثلاث فصول ثم خاتمة.

تطرقت في الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان "**التطور التاريخي لمدينة مليانة**"، وتناولت فيه أهمية المدينة موقعا، وأصل ومنشأ المدينة وتطورها التاريخي عبر العصور، وتركيبتها البشرية وأهم أنشطتها الاقتصادية إضافة إلى أهم شخصياتها الدينية.

وأما الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان "**مليانة مقاطعة من مقاطعات الأمير عبد القادر**"، فقد تطرقت فيه إلى مبايعة أهل مليانة للأمير عبد القادر سنة 1835، وأهم التنظيمات الإدارية والعسكرية في عاصمة مقاطعته مليانة، وجهود خلفائه في المقاومة الوطنية مابين1830-1837، كالحاج محي الدين الصغير بن مبارك، وأبرز مساعديه-الأمير- محمد بن علال.

وفي الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان "**احتلال مدينة مليانة ونهاية المقاومة الوطنية بها 1840**" تطرقت فيه إلى الحملة الفرنسية على مدينة مليانة، من خلال ذكر ظروف وخلفيات الحملة الفرنسية ضدها، والتحضيرات العسكرية لها، وسيرها وأهم العقبات التي واجهتها، وكيف كانت استراتيجية

الأمير عبد القادر وخليفته محمد بن علال في صدّها، وصولا إلى أبرز النتائج المترتبة عن ضياع المدينة وتشتت أهاليها.

ولأجل الوصول إلى دراسة أكاديمية وافية كان لا بد من اعتماد منهج يجمع بين المنهج الوصفي التاريخي الذي يعتمد على وصف تطورات الأحداث لهذه المرحلة التاريخية، ومظاهر السياسة التوسعية الفرنسية لاحتلال المدينة، والمنهج التحليلي الذي يعتمد على الشرح والتقصي والمقارنة للوصول إلى استنتاج واقع للأحداث التاريخية بكل موضوعية ممكنة.

ولإنجاز هذه المذكرة قد لجأت إلى عدة مصادر ومراجع باللغتين العربية والفرنسية، وفيما يخص المصادر والمراجع باللغة العربية فهي قليلة جدا تكاد تكون منعدمة، ولم أجد فيها الكثير حول موضوع الدراسة، ومن المصادر التي اعتمدت عليها بشكل كبير أذكر منها كتاب شارل هنري تشرشل حول "**حياة الأمير عبد القادر**" الذي قدم دراسة تاريخية وسياسية واقتصادية وعسكرية حول دولة الأمير عبد القادر، فهو مهم لمعرفة وضع مدينة مليانة قبل الحملة الفرنسية عليها، واعتمدت كذلك على كتاب "**تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**" لمحمد بن عبد القادر الجزائري الذي أفادني في تغطية شاملة لحيثيات الموضوع من كل الجوانب رغب اقتضاب معلوماته، واعتمدت أيضا عل كتاب "**مذكرات الأمير عبدالقادر**"، وهو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها في السجن 1849، وقد ساعدني بدرجة كبيرة في دراسة شخصية قائد المقاومة الوطنية بمقاطعة مليانة محمد بن علال.

وفيما يخص المراجع فتناولت الموضوع بسطحية، باستثناء الدراسة القيمة –أطروحة الدكتوراه–التي قدمها الأستاذ الدكتور بن يوسف التلمساني تحت عنوان "**التوسع الفرنسي في الجزائر1830–1870**" والتي لا يمكن لأي باحث في هذه الفترة أن يغفل قيمتها العلمية، ولا نجد من المؤرخين الجزائريين المعاصرين من خاض بدقة وبتفصيل في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية والسياسة التوسعية الاستعمارية خلال تلك الفترة، وبالنظر إلى قيمة المادة الأرشيفية التي استعملها حول احتلال مدينة مليانة يمكن تصنيف عمله في قائمة المصادر متجاوزين القواعد العلمية للبحث التاريخي، واعتمدت أيضا على كتاب إسماعيل العربي المعنون بـ "**المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر**"، والذي تطرق إلى الموضوع بصورة شكلية ولم يُعر لمقاومة مليانة أهمية كبيرة إلا في مواضع، وهي قليلة، ولا يمكن أن نتجاهل دراسة أبو القاسم سعد الله

حول "**الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900**"، ج1، الذي فضح حقيقة المشروع التوسعي الفرنسي من خلال مقاربات تاريخية قريبة إلى الواقع الجزائري.

وفيما يخص المصادر باللغة الفرنسية فهي كثيرة ومتعددة، أغلبها عبارة عن مذكرات لقادة فرنسيين عايشوا وشاركوا في احتلال مدينة مليانة، وأذكر منهم كتاب Henry D'estre تحت عنوان "**Mémoires du général Changarnier**" وقدم لي معطيات هامة حول تحضيرات وسير الحملة الفرنسية على مدينة مليانة ونتائجها، واتسمت مذكراته بالكثير من الذاتية بحكم موقعه كعسكري قائد لقوات الاحتلال، فهو سعى إلى تقزيم دور المقاومة في الدفاع والتصدي لحملته على المدينة، واعتمدت كذلك على حوليات بيليسيي Pellissier "**Annales Algériennes**" والمنشورة في 03 أجزاء، وقد احتوت على تفاصيل جد دقيقة ومهمة حول التوسع الفرنسي في الجزائر ما بين 1830-1840 في مختلف مناطق البلاد.

ومن المصادر أيضا كتابLéon Roches المعنون بـ

"**Trente –Deux Ans Atravers" l'Islam(1832–1864) Algérie–Abd–El–kader**"

والذي قدم معطيات تاريخية جد مهمة حول دولة الأمير عبدالقادر في أوجها، وللوقوف عند التوسع الفرنسي في متيجة وموقف المقاومة الوطنية منه اعتمدت بدرجة كبيرة على كتاب C.Trumelet ."**Bou–Farik**" خاصة في الفصل الثاني.

وقد استعملت العديد من المراجع باللغة الفرنسية، والتي من خلالها تمكنت من الوصول إلى أهم المصادر المتعلقة بالموضوع، وأذكر منها مرجع Georges Yver المعنون بـ

"**Correspondance du Capitaine Daumas, Consul a Mascara**".

ومن خلال اطلاعي على مراسلاته توصلت إلى أن مهمته لم تكن كقنصل دولة فرنسا لدى دولة الأمير عبدالقادر، بل كان في مهمة جاسوس، ومن يحلل التقارير المرسلة إلى قيادته يتضح له ذلك، واعتمدت أيضا وبكثرة خلال الفصل الثالث على مرجع André Bloch تحت عنوان

"**Une Epopée Colonial Dramatique La Prise de Miliana 1840** "

ولمعرف شخصية محمد بن علال خليفة الأمير عبد القادر على مليانة من خلال تقديم معلومات حول نشأته ودوره السياسي والعسكري في دولة الأمير عبد القادر اعتمدت على كتاب:

Ben Allel Ahmed Mebarek et Chevassus-au-Louis Nicolas:

La tête dans un sac de cuir .

لقد اعترضتني أثناء إنجازي للموضوع صعوبات كبيرة، ولكنها لا تخرج عن تلك العراقيل الروتينية التي تواجه أي باحث أكاديمي، من تشتت وشح للمعلومات حول الموضوع، لكن قد لا تبدوا هذه من مشاكل البحث، وإنما هناك مشاكل أخرى والتي اعتبرها من الصعوبات فعلا، هو صعوبة الحصول على الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالاحتلال الفرنسي لمدينة مليانة من الأرشيف الفرنسي، وذلك راجع لصعوبة السفر وتكاليفه، وحتى محاولاتي للبحث في الأرشيف الوطني ببئر خادم لم تثمر في إيجاد وثائق مهمة، كما وقعت في مشكل آخر أثر علي بشكل كبير يتمثل في صعوبة الدراسة المونوغرافية، أي الدراسة الجزئية والمحلية التي تعطي نظرة مفصلة ودقيقة عن الوقائع التاريخية بعيدة عن التاريخ العام، فهي تتناول أحداث جزئية تخص شخصيات ومناطق محددة ضيقة، وكدت على إثر ذلك العزوف عن المواصلة في البحث، ولكن وبفضل من الله وبتشجيع من الأساتذة وزملاء الدراسة تجاوزت هذه الصعوبة.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت بعون الله في هذا العمل، وأن يكون مفتاحا لأعمال أخرى تخص الاحتلال الفرنسي للمدن الجزائرية الأخرى كالمدية، والبليدة، وتلمسان، وعنابة...

الفصل الأول

التطور التاريخي لمدينة مليانة وأهميتها الحضارية

1 - الموقع الجغرافي وأهميته

2-مليانة عبر العصور

3 - مليانة في العهد العثماني

4-التركيبة البشرية

5-الوضع الإقتصادي لمليانة

1 – الموقع الجغرافي وأهميته:

تقع مدينة مليانة[1] جغرافيا غرب الدائرة التي تسمى باسمها وهي دائرة مليانة، وهي واقعة في جنوب غرب مدينة الجزائر على بعد 119كلم، تابعة إداريا لولاية عين الدفلى[2] وتبعد عن مدينة الشلف بـ 99 كلم، يحدها شمالا جبل زكار1579م، وشرقا بلدية عين التركي، وغربا بلدية بن علال وجنوبا بلدية خميس مليانة المشرفة على سهول شلف بمنظر واسع على الأطلس التلي، وبمنظر أوسع في الجنوب الغربي على سلسلة الونشريس، وهي في شمال الطريق الوطني رقم 04 والسكة الحديدية الرابطة بين الجزائر ووهران،[3] وهي منطقة جبلية أعلى قمة جبيلية بها هي قمة جبل زكار الذي يشكل مع المنطقة الجبلية للمدية الحد الذي يفصل حوض الشلف وسهول متيجة، وبها غابات كثيفة من شجر الآرز خاصة بغابات ثنية الحد، أما عن تربتها فهي في معظمها كلسية أو طينية كلسية. [4]

إن موقع مدينة مليانة يحضى بخصائص ومميزات عديدة لا نجدها في مدن أخرى من مدن الجزائر، فقد جلبت أنظار وإهتمام الرحالة الجغرافيين، والشعراء، والعلماء، وحتى المؤرخين، من العرب وغير العرب، ولقد ساهمت مجموعة من العوامل الطبيعية والتاريخية التي ترتبط بحياة السكان في إبراز

---

[1]– لمليانة موقع فلكي متميز، فهو يمتد بين خطي طول 2درجة غربا ودائرة عرض 36 درجة شمال خط الاستواء، وعلى ارتفاع يتراوح بين 726م و749م عن سطح البحر. راجع بالتفصيل عبدالرحمان أحمد إدريسي: **أطلس الجزائر والعالم طبيعيا– بشريا– اقتصاديا– سياسيا**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2011، ص21.

[2]– عبر الطريق الثانوي الرابط بين مليانة والجزائر العاصمة المار بعين الباردة ، وتبعد بـ 130كلم على الطريق الوطني رقم04 الرابط بين خميس مليانة والجزائر العاصمة.

[3]– محمد حاج صادق: **مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف (دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر)**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون–الجزائر، 1964، ص20.

[4] –**Dictionnaire des communes de l'Algérie –Villes**, **Villages**, **Hameaux**, **Douars**, **Postes Militaires**, **Bordjs**, **Oasis**, **Caravansérails**, **Mines**, **Carrières**, **Sources Thermales et Minérales**, Pierre Fontana Imprimeur Editeur, Alger, 1903, p.119

موقعها الهام. [1]

لقد تناول العديد من الرحالة الجغرافيون مدينة مليانة باهتمام بالغ، ويعد ابن حوقل النصيبي أول جغرافي سجل إسم مليانة سنة 977م دون أن يحدد حركة الميم، وعن أهميتها يقول بأنها "..**مدينة أزلية ولها أرحية على نهرها وسقي كثير من واديها، ولها حظ من نهر شلف مرحلة...**" [2]

أما البكري المتوفي سنة 1094م فيركز في وصفها على الخيرات الطبيعية التي تزخر بها مليانة، ويقول في ذلك: "..**فيها آثار وهي ذات أشجار وأنها تطحن عليها الارحاء...**". [3]

ويصفها الإدريسي بعد قرن من ذلك بأنها "..**لها نهر يسقي أكثر حدائقها وجناتها وجانبي مزارعها ولها أرحاء بنهرها المذكور ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف..**"[4]

أما عن ابن محشرة في موضع من الإستبصار فقد ذكرها في حوالي 1191م، فيقول عنها: "..**حصينة في سفح جبل يسمى زكار شعاره كله ريحان، وينبعث منه عين خرّارة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها ولهذه المدينة مياه سائحة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من أخصب بلاد إفريقية وأرخصها أسعارا وهي مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة...، يشق تلك الفحوص نهر شلف...**". [5]

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ المدن الثلاث الجزائر- لمدية- مليانة**، ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الأبيار- الجزائر، 1972، ص300.

[2]- ابن حوقل النصيبي: **كتاب صورة الارض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1996، ص89.

[3]- أبي عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الاسلامي، القاهرة، دت، ص61.

[4]- أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، م1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد- مصر، دت، ص253.

[5]- ابن محشرة هو أول من ذكر اسم زَكّار وذكر الرَّيحان، واليوم يسيل شرق مليانة نهر اسمه وادي الرَّيحان من روافد شلف، وكانت بلدة سيدي الاخضر الحالية(لافراند سابقا) تسمى في أوائل القرن 19م بـ "واد الريحان"، وما يعرف عن الملينيين أنهم مازالوا متعودين على تفريش القبر بأغصان وأوراق الريحان قبل إقبار الميت. للمزيد أنظر: أبو الفضل جعفر ابن محشرة: **كتاب الستبصار في عجائب الأمصار**، طبعة عبد الحميد زغلول، مصر، 1958، ص106.

ويضيف الحميري المولود بسبتة عن مليانة بقوله: "...**مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف..وهي آهلة، ولها أبار عذبة وسوق جامعة...وبقعتها كريمة ومزارعها خصيبة، ونهرها يسقي أكثر مزارعها وجناتها ظل ولها أرحاء على نهرها**.."، كما يذكر بأنه على مليانة لقي أبو بكر ابن الصابوني شاعر السلطان أبا زكريا ملك إفريقية فنظم قصيدة ينشد فيها السلطان، وفيها قال عن مليانة:

اللهُ جَارِكَ في حلٍ ومُرتحلٍ

يَا مُعليَا مِلّة الإسلام في الملِلِ

فسِرتُ والسّعدُ يدعوني ويُنشدنِي

إنَّ السعادةَ في مِليانة فَمَلِ[1]

ولما مر بها العبدري القاضي المالكي المغربي سنة 1289م في طريقه من تلمسان إلى مليانة نحو مكّة،[2] قال عنها: "...**البلدة الخصيبة– الحصينة–**[3] **مليانة وهي مدينة مجموعة مختصرة– متحضرة–،...أشرفت من كثب على وادي الشلف واستشرقت –استشرفت– نسيم طرفها من شرق –شرف–، في روضة جمة الأزهار والطرف، برعت –فرعت– من جبل حما –حمى– حماها أن يرام، وشرعت في أصل شهر –نهر– شفى –يشفي المقيم من الهيام، شاق –شاف– منظرا، وراق مخبرا وشفى الظماء –الظمأ– موردا ومصدرا يشتهي الناظر إليه وهو ريّان الشروع،...وبها جامع ملبح–مليح– عجيب يدعو الشوق من رآه فيجيب...**"، وقد أنشد باستعجال في مليانة، واخترت أجمل ما قال في مليانة من البحر الطويل:

---

[1]– محمد بن عبدالمنعم الحِميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1 مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

[2]– عن هذه الرحلة ارجع إلى: محمد العبدري البلنسي: **الرحلة المغربية**، تق: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة– الجزائر، 2007، ص74.

[3]– إن الوصف الذي أخذته من كتاب الرحلة المغربية للعبدري الذي نشرته مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ط1، 2007 بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية غزير بالأخطاء المطبعية التي لا تتماشى مع قيمة المؤَلَف والمؤلِف، فلذلك رجعنا إلى كتاب محمد حاج صادق ص23 الذي سبق وأن ذكرته وقمت بتدارك تلك الأخطاء.

زمَان لدى عهدِ الشَّبيبَة قد عسَى

أعلّل فيه النفسَ علّي أو عسَا

لعلَّ ربوعاً من حَلالها عوَاريا

تعودُ لها تِلك المفَاخِرُ ملبساً

لعل نجوماً كنت هالةَ بدرِها

ستجل ظلاماً حل أفقي فألبسَا

زماني رماني بالنَّوي من أحبةِ

لبعدهم عادَ الأنيسُ مُعبِسا

وكنت لباغِي الجودِ والعلمِ مُلتقى

فان شِئت مقراة وإن شئت مَدرسا

فها أنا أَشدو إن نطقتُ تمثلا

وليلُ همومي قد دَجَاني وعسعَسا

وبدلت قرحاً داميا بعدَ صحةٍ

لعل مَنَايانَا تحولِن أبؤسا[1]

وخلال سنة 1324م مر بها الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة الذي كان في عمره آنذاك اثنان وعشرون سنة، فوصل إليها في أيام الحر الشديد رفقة رفيقين تونسيين أين توفي أحدهما ودفن بمليانة، ورغم إقامته بها عشرة أيام إلا أنه لم يخلف لنا وصفا مفصلا للمدينة ولا لضاحيتها. [2]

ومر بها أيضا العلامة عبد الرحمان بن خلدون سنة 1372م عائدا بأهله من بسكرة نحو فاس، وابن خلدون هو أحسن من وثق من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين عن مليانة في القديم، ويذكر

---

[1]- عد إلى بقية القصيدة في العبدري: **مصدر سابق**، ص74-75.

[2]- ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1964، ص15.

بأن اسمها بكسر الميم وسكون اللام،[1] وهو يوافق بذلك نفس الحركات التي أوردها ياقوت الحموي في معجمه قائلا: "...**مليانة – بالكسر ثم السكون وباء تحتها نقطتان وبعد الألف نون– هي مدينة في آخر أفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام.**". [2]

وقد مر بمليانة أيضا الحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي (1495م-1552م)، وقدم وصفا شاملا عن صناعها ونسّاجيها وعيونها الخرّارة وبساتينها التي يغلب عليها الجوز وموقعها في سفح جبل زكار، فيقول في ذلك:"...**تقع هذه المدينة في قنة جبل على بعد نحو أربعين ميلا من البحر..، وهذا الجبل مليء بالعيون ومكسو بأشجار الجوز، حتى إن الجوز هنالك لا يشترى ولا يقتطف. والمدينة محاطة بأسوار عالية عتيقة، والصخرة تشرف من جهة على شعب سحيق– سهول الشلف– ومن جهة اخرى على منحدر يبدأ من أعلى الجبل...ولمليانة دور متقنة الصنع، في داخلها كلها سقايات جميلة..**". [3]

وحذا مارمول حذو الحسن الوزان في وصفه لمليانة، فيقول: "...**جبالها كثيرة الينابيع والجداول، وفي كل مكان منها أشجار جوز باسقة تثمر من الجوز كميات كبيرة لا يتوصل السكان إلى قطفها كلية فيضيع جزء منها...، يوجد في اسفلها واد عميق وفي الجهة المقابلة تمتد المدينة على سفح الجبل، دورها معتبرة تتوفر على عدد من الينابيع...وتحيط بالمدينة بساتين شاسعة بها أحسن ما في بلاد البربر من أشجار الليمون، تنمو بها أيضا أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة تحمل لبيعها في تنس وغيرها من المدن...**". [4]

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2000، ص174.

[2]- ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج5ن دار صادر، بيروت، 1977، ص196.

[3]-الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983، ص25.

[4]- مارمول كربخال: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط- المغرب، 1988-1989، صص354-359.

إن موقع هذه المدينة الشهيرة في قلب الجزائر وتأسيسها بين أهم عواصمها التاريخية، ووجودها من بين ثغور بعض الإمارات بمكان تبرعت فيه الطبيعة بكل ما يحلم به القاطن والزائر من مياه وزرع وضرع وفواكه وخضر...، كل هذا جعل منذ فجر التاريخ مليانة تلعب دورا سياسيا وعلميا وتجاريا رغب الكثير من الملوك والأمراء في امتلاكها، فلا يخلو عصر من عصور بلادنا إلا وتحدث فيه التاريخ عنها.[1]

2-مليانة عبر العصور:

تعتبر مليانة مدينة تاريخية عريقة عرفت إزدهار حضارات مختلفة على حقب متعاقبة، حيث مازالت معالمها شاهدة منذ عصور ما قبل التاريخ، ويمكن تقسيم هذا التطور إلى فترتين:

أ-مليانة قبل الفتح الإسلامي:

أ.أ-عصر ما قبل التاريخ:

لقد مكنت الأبحاث الأثرية التي أجريت بمنطقة واد بوتكتون شمال المدينة سنة 1961م من العثور على أدوات حجرية من الحضارة العاترية والقفصية أكدت على تمركز الإنسان ما قبل التاريخ بهذه المنطقة.

أ.ب-العهد الفينيقي:

عرفت فيه مليانة ازدهارا كبيرا وأصبحت هذه المنطقة نتيجة للإمتداد الفينيقي المتواجد على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط إلى المناطق الداخلية **"أيُول"** أي مركز اقتصادي نشيط ومقرا استراتيجيا لتنظيم أمن المماليك البربرية إلا أن هذه الفترة يسودها كثير من الغموض بسبب عدم وفرة مادة البحث، ويذكر بعض المؤرخين أن أصل **'مليانة'** فينيقي ويعني سوق القمح، ومنهم من يرجعها إلى أصل ليبي بربري، وتعني **'أبزيكر- أبادير'** وتعني في مجملها **'جبل الإله أبادير'** نسبة لجبل زكار. [2]

---

[1]- عبدالرحمان الجيلالي: **مرجع سابق**، ص295.

[2]- عباس كبير بن يوسف: **مليانة**، طبع الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمباني الأثرية، الجزائر، 2000، ص2.

أ.ج–العهد الروماني:

عن أصلها الروماني القديم تذكر الآداب الرومانية المؤيدة بالحفريات التي أجريت أثناء القرن 19م مدينتين هما **'منليانا** – Manliana' و **'زوقبار**-Zucchabar'.

وفي دليل المسافر **لأنتونا** Itnéraire d'Autonnin ورد اسم **'مِليانة'** Malliana، وفي جغرافية **بطلميوس** Géographie de Ptolémée ورد اسم **'منليانة'**Manliana،[1] وقد درس **بربروجر** Berbrugger كتابة منقوشة على قبر اكتشف قرب خميس مليانة سنة 1849م تعني فتاة اسمها **'منليا'**Manliae بنت **'لوكسيوس'** Luccius من عائلة رومانية بطريقية Patriache كانت تحتل هذه الناحية لواد بوتان أين تقع خميس مليانة. [2]

والإسم الثاني **'زوقابار'** أو **'زوكبار**-Zecchabar' وجد في صخرة كانت علامة للأميال تحد بين زوقبار وغيرها من حواضر مستعمرة يوليوس الأكبر وذلك عند الشروع في الأعمال للقنطرة بين عريب وعين الدفلى على الشط الأيمن من نهر شلف، وقيل أن هذه المستعمرة كانت حوالي سنة 27 وسنة 25 قبل الميلاد. [3]

وذكر أميان مرسلان Ammien Marcellin **'سوقبريتم**– Succabaritum' وفي سجل محاضرة قرطاج في سنة 411 م وسنة 484 م ورد ذكر أساقفة **'زوقباريتانوس'**، أما عن المؤرخ بلينPline فقد ذكرها في كتابه التاريخ الطبيعي باسم **'كولونيا أوغوسطا'**. [4]

ويتفق الجغرافيان الحسن الوزان وكربخال على أن أصلها روماني، ولكن يختلفان في التسمية، فالحسن الوزان يرى بأنها "..**قديمة، بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم 'ماكنانة'، لكن العرب**

---

[1]– مارمول كربخال: **مصدر سابق**، ص354-359.

[2]– للتفصيل أكثر في ذلك راجع:

-Berbrugger : "Sur Miliana, Ses Antiquités, ETC, D'après M.Le Docteur Lebrun", **R.A**, n°08, 1864, p428-429.

[3]– حاج صادق: **مرجع سابق**، ص21.

[4]– عباس كبير: **مرجع سابق**، ص2.

حرفوا هذا الإسم.."،[1] وقد سماها كربخال بـ"...**مدينة كبيرة بناها الرومان.."**، وذكر بأنها كانت تسمى قديما بـ **'مغنانة'** لكنه لم يحدد أصل ومعنى هذا الاسم.[2]

وشاهد الرحالة الانكليزي شاوShaw كثيرا من أطلالها في القرنين 17 و 18م، فيقول: "...**يوجد حاليا بمليانة بقايا من المعمار الروماني وشاهدت على بعض أسوارها الحديثة نصبا تذكاريا...**". [3]

والظاهر أن **'منليانة'** إسم مستعمرة أي ضيعة كبيرة في حوز زوكبار، غير أن زوكبار عَلَم لم يسمع به الجغرافيون والرحالة لا من عرب ولا من أوربيين وهم الذين سجلوا إسم مليانة إبتداء من القرن العاشر الميلادي، أما عن مكان تشييد زوكبار التي أبيدت أثناء القرن السادس الميلادي بسبب الفتن والثورات،[4] فقد إختلف في تحديد موقعها بين خمس أماكن وهي:

1- مزار سيدي عبد القادر المشرف على خميس مليانة.

2- قرية سيدي الأخضر الحالية.

3- خميس مليانة.

4- خربة عمورة.

5- مليانة. [5]

---

[1]- الحسن الوزان: **مصدر سابق**، ج2، ص34.

[2]- مارمول كربخال: **مصدر سابق**، ص359.

[3] -Shaw Thomas: **Voyage dans la régence d'Alger**, tr : J.Mac Carthy, E2, Editions bouslama, Tunis, S.D, p383.

[4]- حول مليانة في العهد الروماني أنظر:

-Stephane Gsell: **Atlas Archeologique de l'Algerie**, T1, E2, Edition Alger, Alger, 1997, p5.

[5]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص22.

ب– مليانة في العهد الإسلامي:

ب.أ –التطور التاريخي:

لم تذكر المصادر والمراجع تاريخ فتح المدينة، وما تذكره هو أن مليانة في سنة 741م كانت كسائر مدن المغرب من ملك بني أمية بدمشق، ولما سقطت دولة بني أمية وخلفتها دولة بني العباس انقسمت بلاد المغرب الإسلامي لأكثر من قرن إلى ثلاث إمارات، أصبحت مليانة تابعة لحكم بني رستم أين كانت لهم السيطرة التامة على سكان الجزائر من متيجة إلى تلمسان وكانت عاصمتهم تيهرت. [1]

كما دخلت مليانة في بعض الأحيان (ما بين سنتي 798–985م) في ملك الأدارسة الذين كانوا يتحكمون في المنطقة الواقعة بين فاس والجزء الغربي من الجزائر الحالية، ويذكر لنا اليعقوبي[2] في جغرافيته التي كتبها في سنة 891م أن مليانة من إيالة الأدارسة.[3]

وإن كانت مليانة مدينة قديمة فإن أهميتها الحقيقية قد برزت في العهد الإسلامي عندما اختطها بلكين بن زيري بن مناد،[4] فلما انتصر زيري على مغراوة قام بتشييد **'أشير'** واتخذها عاصمة، ثم شرع في تجديد الجزائر والمدية ومليانة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "..**وأحفظ –زيري بن مناد– مدينة واشين –أشير– للتحصن بها سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حَصِين وحصنها بأمر المنصور، وكانت من أعظم مدن المغرب، واتسعت بعد ذلك خطتها**

---

[1]– حاج صادق: **مرجع سابق**، ص26.

[2]– هو أول من ذكر في سنة 891م بمكان مدينة مليانة محلا اسمه **'مَدْكرة'**، والظاهر ان هذا الاسم هو قديم بربري لمليانة قبل إقبال العرب إلى المغرب الأوسط، فهل هناك فرق بين **مَددكرة** و**مطغرة** اسم القبيلة البربرية؟ نعم هناك فرق بين الدال والطاء، وبين الكاف والغين لكن قبيلة مطغرة يقال لها أيضا **'مدغرة'** و **'مضغرة'**، وكانت حسب البكري وابن خلدون قاطنة بالمغرب الأوسط بين مليانة ووجدة بجانب مطماطة وفروع أخرى من بني فاتن. راجع في ذلك البكري: **مصدر سابق**، ص69.

[3]– اليعقوبي: **كتاب البلدان**، ص264.

[4]– بلكين بن زيري بن مناد من أشهر أمراء صنهاجة في خدمة الفاطميين قضى حياته كلها في محاربة زناتة بالمغرب الأوسط حتى اقصاهم عن البلاد واستولى على فاس وسجلماسة وهزم برغواطة حتى وافاه الأجل وهو في طريق العودة، للمزيد عد إلى عبدالرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج6، ص206–207.

واستبحر عمرانها، ورحل إليها العلماء والبحار من القاصية.."،[1] وكان ابنه الذي خلفه بلكين يسكن بمليانة فأصبح بعد جلاء بني عبيد إلى مصر سيدا لا ينافسه منافس في إفريقية والمغرب الأوسط وشرع في السعي لأجل الإستقلال الذي تحقق عام 1049م في عهد خلفه، وهكذا كان من حظ مليانة أن كانت عاصمة سياسية لأكبر جزء من المغرب عندما كان بلكين مقيما بها، ويقول إبن خلدون في ذلك: "..**ثم اختط إبنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر، ومليانة بالعدوة الشرقية من شلف، ومدينة لمدونة...، وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط...**". [2]

غير أن حكم بني زيري لم يعمر طويلا حتى ضمّت مليانة لأبناء عمومتهم الحماديين أصحاب قلعة بني حماد في أول الأمر ثم إلى أصحاب بجاية الناصرية فاشتملت إمارتهم على مليانة ونواحيها وأسندوا إدارتها إلى كبّاب أخي الناصر بن علاء الناس (1062-1089م)، وأمام انهيار دولة بني حماد سنة 1163م ودولة بني زيري سنة 1171م وظهور دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي سيطر ابتداء من سنة 1081 على كل ما في غرب جزائر بني مزغنة بما فيه لمدية ومليانة فإن المصادر بقية صامتة عن مصير مليانة أثناء ثلثي قرن من حكم المرابطين. [3]

ولما انتهى حكمهم أصبحت في حوزة المصامدة من سنة 1152م إلى نهاية القرن في عهد عبد المؤمن بن علي(1128م-1163م) وأبنائه، فهاجمها بنو غانية مرتين، الأولى سنة 1185م،[4] والثانية سنة 1220م، غير أن السيادة كانت وقتئذ لمغراوة في الناحية، فشنوا الحرب على بني غانية وقتلوا قائدهم يحي على شاطئ شلف قرب مليانة. [5]

---

[1]- عبدالرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج6، ص203.

[2]- **نفسه**، ص204.

[3]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص28.

[4]- عبدالرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج6، ص24.

[5]- **نفسه**، ص262.

وبعد تفكك دولة الموحدين وانقسامها إلى ثلاث دويلات وهي دولة بني حفص في تونس وبني عبد الواد بتلمسان وبني مرين بفاس، أصبح نفوذ مغراوة يتأرجح بين هذا وذاك، فتارة تؤيد بني حفص في تونس، وتارة تؤيد بني مرين في المغرب، وثالثة بتأييد بنو عبد الواد، إلى أن تمكن بنو عبد الواد إبتداء من سنة 1308م من فرض سيطرتهم على جملة المغرب أثناء النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت من سياسة ملوك بني عبدالواد إسناد إدارة الحواضر الهامة إلى أمير من أبناء الملوك، وهكذا كان ولي العهد المنتصر بن حمّو الثاني واليا على مليانة، وإنعكس عن تلك الحروب المتكررة بين هذه الدويلات بشكل كبير على مليانة وخاصة بعد النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وأصبحت مليانة تعيش في إضطراب وفوضى عارمة أبطالها أمراء تلمسان أبو حمّو الثاني وابنه أبو تاشفين وابن عمه أبو زيان من جهة وسلاطين بني مرين. [1]

ب.ب– الإزدهار الثقافي:

يذهب أغلب المؤرخين والرحالة الجغرافيين على أن فترة إزدهار الحياة الثقافية والعلمية في مليانة كان خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وهي بذلك تتماشى مع إزدهار الحياة الفكرية والعلمية بتلمسان عاصمة بني زيان،[2] وقد أكد على ذلك الإزدهار الذي عرفته مليانة أيضا مولاي بلحميسي فيقول:"...**كانت مليانة في ذلك العصر–القرن13م– مركز إشعاع ثقافي وانتاج أدبي شهد بذلك أصحاب التراجم والرحلات**..."،[3] وفيما يلي بعض العلماء الذين كانت لهم المنزلة في مليانة في تلك الحقبة وأبرزهم:

---

[1]– راجع آثار ذلك الصراع في: عبد الرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج7. وكذلك يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد**، م2، مطبعة بيرفونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

[2]– وعن الإنتاج العلمي للقرن التاسع الهجري–14م– في عهد الزيانيين يقول أبوالقاسم سعدالله: "**يعتبر إنتاج القرن التاسع...من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين والمؤلفات، وفي إحصاء أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة**.."، أنظر في ذلك: أبوالقاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص27.

[3]– مولاي بلحميسي: مدينة مليانة عبر العصور، **مجلة الأصالة**، ع8، ماي–جوان1972، ص147.

- علي بن عمران بن موسى المليانى: (644-670هـ .1246-1271م)

المعروف بابن أساطير، فقيه وأصولي كان له معرفة بأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة، سكن بجاية وفيه يقول الغبريني: "..**كان له علم بالوثيقة، وكان من عدول بجاية وخيارها، وكان متخصصا متزهدا...**". [1]

- أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى المتوفي سنة 644هـ-1246م:

فقيه مجتهد من أهل مليانة، أخذ عن شيوخ بلده ثم رحل إلى المشرق، ولقي مجموعة من الأعلام، ثم عاد وسكن بجاية واقرأ بها وأسمع، له علم بالعربية والفقه وأصول الدين، [2] وقد استدعاه الأمير أبو زكرياء إلى حضرة إفريقية وحضر مجلسه، وقبره بمليانة، وهو ممن تلتمس البركة بشهوده، ويظفر زائره بمقصوده. [3]

- أحمد بن علي المليانى أبو العباس المتوفي سنة 715هـ -1315م:

شاعر وكاتب من أهل مليانة، إلتجأ في أواخر المائة السابعة رفقة عمه أبو علي بن أحمد المليانى إلى السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق أين عين عمه عاملا على أغمات،[4] فأكمل محمد دراسته بمراكش وأغمات، وبعد وفاة السلطان يعقوب بويع لابنه يوسف، فاستعمل أبا علي على جباية الأموال ثم نكبه وقتله واتخذ ابن أخيه أبا العباس أحمد صاحب علامته، فسعى أحمد إلى الأخذ بثأر عمه ودبر مؤامرة بالواشين به حتى قتلهم، ثم فر إلى تلمسان والسلطان المريني يوسف محاصرا لها،

---

[1]- أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت –لبنان، 1979، ص227.

[2]- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر**، بيروت –لبنان، 1983، ص314.

[3]- أبو العباس الغبريني: **مصدر سابق**، ص189.

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972، ص87.

وفي نحو سنة 703هـ غادر تلمسان ولحق بغرناطة بالأندلس واستقر بها إلى وفاته. [1]

– أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي المطماطي المتوفي سنة 680 هـ / 1281 م:

درس بمسقط رأسه بتنس وملیانة وشلف، جاب أقطار المغرب والمشرق طلبا للعلم والاستزادة، كما قرأ بتلمسان، وبجاية، وتونس، والقاهرة، والشام، فأخذ عن فطاحل علماء هذه الأقطار مثل الأصبهاني، والقرافي، والسيف الحنفي، ثم رجع إلى المغرب، واستقر بتلمسان للإقراء.[2]

وكان أبو إسحاق كلما زار مدينة فاس سواء في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدبلوماسية، التي كانت يقوم بها بين العاهلين الزياني والمريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث، وقد كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير وصار يعد من أساتذته بهذه الديار، ترك أبو اسحاق سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء، فقد قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب "ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبو اسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته".[3]

– أحمد بن يوسف الملياني المتوفي سنة931هـ –1524م:

هو أكبر شخصية صوفية خصها المؤلفون بالتقاييد والتآليف والأشعار، فلا تكاد تجد عملا في التصوف لا يشير إلى ترجمة الملياني وحياته الروحية،[4] وقال عنه الكتاني في كتاب**"سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس"** هو الشيخ الوالي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك

---

[1]– عادل نويهض: **مرجع سابق**، ص315.

[2] – **محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 189.

[3] – أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبدالحميد عبدالله الهرامة، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 1989، ص38-39.

[4]– أبوالقاسم سعد الله: **مرجع سابق**، ج2، ص120.

الناسك المقرئ بالقراءات السبعة المحقق الحجة أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا المليانى، كان من أعيان مشائخ المغرب وعظماء العارفين أحد أوتاد المغرب وأركان هذا الشأن جمع له الله بين علم الحقيقة والشريعة وانتهت إليه رياسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره، واجتمع عند جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته واشتهر ذكره في الآفاق شرقا وغربا، وكان متواضعا ورعا زاهدا يحبب الخلق في الطاعة ويحرضهم على الذكر ويرشدهم إلى الصراط المستقيم حتى تاب على يده خلق كثير وهداهم الله تعالى بسببه، وهو من تلاميذ الشيخ أحمد زروق[1] ولما حج شيخه المذكور وهو الشيخ العلامة الصالح أبو عبد الله الزيتوني نزل بموضع قريب من قلعته، فأتى إليه فقبل الزيتوني رجليه وقال له قد أعطاك الله من قاف إلى قاف، فقال له المليانى هذا قليل بل أعطاني أكثر،[2] وحكي أن بعض أصحابه قال له أن سيدي عبدالرحمان الثعالبي قال من رأى من رآني لا تأكله النار إلى سبعة، فقال المليانى كذلك من رأى من رآني لا تأكله النار إلى عشرة وحلق له مرة حلاق رأسه فقال له لولا خفت عليك من الناس لقلت جميع من يجلس في حجرتك لا تعدو عليه النار، وقال رضي الله عنه دعوت الله في ثلاث فأعطانيها في ليلة واحدة: طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة فأعطاني علم الظاهر والباطن، وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال فبلغني فوقهم، وطلبته أن يريني المصطفى صلى الله عليه في النوم فرأيته في اليقظة وفتح الله علي في علوم ببركته لم يطلع عليها غيري يعني من أهل عصره، وعنه أيضا قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري أي في عصري، وقال أيضا جميع من أكل معي أو شرب أو جالسني أو نظر في لا أسلم فيه غدا يوم القيامة، وسئل رضي الله عنه عن السبحة هل يجوز أخذها باليمين فقال نعم يجوز ذلك وهو كالمهماز للفرس، ومن كلامه رضي الله عنه والله وثم والله من عرفني حتى يندم ومن لم يعرفني حتى يندم ، وقال أيضا إنما ألمح بعض أصحابي لمحة فيبلغ بها

[1]- هو سيدي أحمد بن أمحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق(846-899هـ .1442-1493م) الشيخ الإمام العالم الفقيه المحدث العلامة الصوفي الزاهد القطب، حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، اشتغل بالتصوف والتوحيد، لقب بزروق نسبة للون العينين لجده، للتفصيل أنظر ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص45.

[2]- أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص97.

مقام الأولياء، وكلامه رضي الله عنه وأخباره ومناقبه كثيرة جدا وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب في تأليف له جمعه فيه بالخصوص سماه "**بستان الأزهار في مناقب زمزم الاخبار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**".[1]

وقال عنه صاحب الإستقصا : " **قال ابن عساكر في دوحة الناشر: ...كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نزيل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكثرت أتباعه فغلوا في محبته وأفرطوا فيها حتى نسبه بعظهم إلى النبوة..**". [2]

اختلفت الروايات حول تحديد نسب الشيخ أحمد بن يوسف[3] وتاريخ ميلاده، غير أنه يمكن أن نجعل تاريخ ميلاده بالتقريب في أواسط القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، ولد بقلعة بني راشد جنوب شرق مدينة معسكر،[4] فقد قيل أنه ولد سنة 1442م وقيل في سنة 1436م وقيل في سنة 1440م، وحتى اليوم والشهر مجهولان، وقيل أيضا أنه ولد بتابلكوزة وقيل بتالوانت وقيل بقلعة سيدي راشد.[5]

كان أحمد بن يوسف رجلا بسيطا أعطاه الله مقاما عظيما، كان يتمنى أن يجعله الله كالأرض

---

[1]- راجع في ذلك أبو القاسم الحفناوي: **مرجع سابق**، ص98 وعادل نويهض: **مرجع سابق**، ص315-316.

[2]- أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري: **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى-الدولة السعدية-**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصر، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1955، ص50.

[3]- وقد كتب محمد حاج صادق "مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف" عن شجرة نسب الشيخ أحمد بن يوسف فقال: "هو أبوالعباس احمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس بن منصور بن علي بن مناصر بن عيسى بن عبدالرحمان المدعو تدغير بن يعلى بن إسحاق المدعو عبدالله العلي بن أحمد بن محمد بن إدريس الاصغر بن إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن البسط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت محمد خاتم الأنبياء.للمزيد راجع حاج صادق: **مرجع سابق**، ص76.

[4] -Bodin(M) : "Note et Question sur Sidi Ahmed Benyoucef", **R.A**, n°66, 1925, p134.

[5]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص98.

يمشي عليه المسلم والكافر والمطيع العاصي فهما وعلما،[1]

لا تذكر المصادر التاريخية التي عايشت الشيخ أحمد بن يوسف الكثير عن دراسته وسياحته إلا ما وصل عن طريق أتباعه وتلامذته، فقد تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن مثل أغلب معاصريه بجامع من جوامع رأس الماء أو قلعة بني راشد، وقيل أنه سمع من عدة أساتذة أصلهم من إيران ومن مصر ومن سوريا والأندلس، وعن الشيوخ في الجزائر فقد أخذ الكثير عن الشيخ أحمد البرنسي (1442-1493) الذي كان له الأثر البالغ في تكوينه، حيث درس عنده:

-القراءات السبع أو الروايات السبع.

- السيرة النبوية على كتاب الشفاء للقاضي عياض.

-التصوف على كتاب ابن عطاء الله تاج الدين المتوفي سنة 1309، وقد كتب عنه زروق أكثر من عشرين شرحا. [2]

درس أحمد بن يوسف بالمدرسة السنوسية بمدينة تلمسان، وتخرج منها، أخذ بتلمسان عن أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفي 1489م الذي تنسب إليه المدرسة،[3]

ونتيجة للتقلبات التي كانت تعيشها تلمسان الزيانية خلال تلك الفترة كنتيجة للتدهور السياسي، فقد تعرض أحمد بن يوسف المليانى للاضطهاد والسجن والمطاردة، وكان عليه أن يبحث عن حلفاء لحماية حركته النامية التي أسسها على مبادئ الطريقة الشاذلية[4] بعد أن جاب المشرق

---

[1]- أبو عبدالله بن محمد بن علي القلعي الصباغ: **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيدي النسب والدار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم 1707، ورقة 82.

[2]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص82-83.

[3]- عبد الله النجمي: **التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق16-17)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط-المغرب، 2000، ص64.

[4]- **الشاذلية:** هي طريقة صوفية أسسها الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله الجبار الشاذلي الشريف الحساني المولود بالمغرب الأقصى بين سنتي 1175 و1176 والمتوفي سنة 1258م بمصر، وطريقته منتشرة في أغلب أرجاء الوطن العربي والإسلامي في المشرق ومصر والجزائر وتفرعت عنها عدة طرق صوفية أخرى كالسنوسية. ينظر بالتفصيل إلى

Louis Rinn : **Marabouts et Khouans**, Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1884, P32.

وأدى فريضة الحج، وقد تزوج مرارا وكان له أبناء كثر، كما كان لا يرفض الهدايا ولا الملابس الفاخرة ولا الموائد الغنية طبقا لتعاليم الشاذلية التي لا تمانع في ذلك أن يؤخذ أو يترك لله، وكان للملياني خصوم من الساسة والفقهاء، بل حتى من التجار وكانت له زاوية برأس الماء يستقبل فيها الأتباع ويتقبل الهدايا ونحوها.

انتشرت طريقة الملياني الشاذلية في الجزائر وفي المغرب الأقصى بسرعة أثناء حياته، وهي ظاهرة قليلة الوجود، لأن معظم المرابطين قد اشتهرت طريقتهم وأخبارهم الصوفية بعد وفاتهم، وكان الملياني يناول تلاميذه الأذكار ويشكلون دائرة للذكر الجماعي مع استعمال الغناء والموسيقى أو الأناشيد والآلات، وقد لقي تلامذته اضطهادا كبيرا في المغرب الأقصى وفي تلمسان، وهو كذلك حيث أتهم من بعض العلماء بالإلحاد، وقد كتب الملياني إلى أهل توات ينهاهم عن اضطهاد أتباعه هناك، وقال أن الله قد أعطاهم علم الظاهر والباطن وادعى أنه نائب عن الرسول صلى الله عليه وسلم،[1]

إن حركة الملياني قد أثرت على معاصريه سياسيا ودينيا فقد هز الدولة الزيانية بالتجمعات التي كان يعقدها في رأس الماء وفي تلمسان وفي وهران ونواحي البطحاء، وهي المناطق التي كانت مستعدة للإضطرابات والثورة لتراخي قبضة الدولة عنها، كما هز أتباعه كيان الدولة في المغرب الأقصى حتى أضطر أمير فاس إلى محاربتهم ومطاردتهم، ويصور لنا صاحب **الإستقصا** تلك المعاناة فيقول:"..**قال صاحب الدوحة: ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة –اليوسفية– فسجن جماعة منهم وقتل آخرين، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ في شيء، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة..**"،[2] وكان تحالف الملياني مع العثمانيين فيما بعد من بين الأسباب التي أدت إلى زيادة الاضطراب والفوضى لدى الزيانيين. [3]

توفي أحمد بن يوسف الملياني سنة 931هـ -1524م ولم يخلف وراءه تآليف تذكر، إلا كتاب

---

[1]- أبوالقاسم سعدالله: **مرجع سابق**، ج1، ص503.

[2]- أحمد الناصري: **مصدر سابق**، ص51.

[3]- أبوالقاسم سعدالله: **مرجع سابق**، ج1، ص504.

واحد عنوانه "**رسالة في الرقص والتصفيق والذكر والأشواق**"،[1] فهو شبيه بأبي الحسن الشاذلي القائل:"...**كتبي أصحابي ومريدي**"، وبالشيخ بيوض العالم المصلح بوادي ميزاب الذي كان يقول: "...**دروسي مقيدة في الرؤوس لا في الطروس**..".[2]

أسس أحمد بن يوسف زاويته برأس الماء بوادي شلف وكون فيها المريدين، ويقول عنها: "..**زاويتنا كسفينة نوح من دخلها أمن من الخوف**.."، كما أسس عدة زوايا أخرى بعدما ضايق عليه علماء وملوك تلمسان، في كل من مصراتة وتاقصريت وفي يلل.

خلف وراءه عدد كبير من تلامذته تجاوز الأربعين من أبرزهم **عبد الحق بن علي المطهري الشاعر**،[3] **محمد بن أحمد بن علي بن عبدالرحمان الصباغ** والد صاحب البستان، **أبو الحسن علي بن عبد الله الفيلالي** الذي ورث الشيخ روحيا ومثله في المغرب الأقصى، **محمد بن عبد الجبار الفجيجي المسعودي التلمساني**، شاعر ومتصوف، **أبو عبد الله مْحمد بن أحمد الشريف الزّهار**.[4]

3 – مليانة في العهد العثماني:

أمام ضعف الدولة الزيانية وتقهقر الممالك البربرية في المغرب الأوسط دفع الإسبان إلى القيام بحركة مد حقيقية على النقاط الداخلية، فقد خرج عن طاعة ملوك تلمسان كل المغرب الأوسط – الجزائر– فلم يبق تحت أيديهم إلا العاصمة تلمسان، أما باقي القطر فقد تجزأ إلى دويلات وإمارات صغيرة مستقلة لا تفصل بينها حدود متميزة، وفي تلك التغيرات دبرت قبائل الونشريس أمرها كما

---

[1]– أحمد بن يوسف: **رسالة في الرقص والتصفيق والذكر والأشواق**، مخطوط بالخزانة العامة–الرباط، المغرب، رقم2792، 21 ورقة.

[2]– حاج صادق: **مرجع سابق**، ص86.

[3]– علي بن أحمد الحاج موسى: **ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة إلى الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف دخيل مليانة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم928، ورقة206.

[4]– حاج صادق: **مرجع سابق**، ص88.

أرادت،[1] لقد كانت هذه الأحداث تمهيدا لقدوم العثمانيين إلى الجزائر، وبالأخص الأخوين خير الدين(1472م-1543م) وعروج(1512م-1518م)اللذان أخضعا الجزائر للدولة العثمانية.[2]

ويذكر الميلي بأن عروج سار في جوان 1517 على رأس ألف وخمسمائة جندي من الأتراك ومهاجري غرناطة وبلنسية من الجنود البرابرة، وترك أخاه في مدينة الجزائر، واستولى عروج على المدية ومليانة،[3] بينما استولى خيرالدين على دلس وتنس. [4]

وتؤكد المصادر على أن عروج واجه مقاومة عنيفة من طرف حميد العبد[5] صاحب إمارة قلعة بني راشد التي كانت تضم في نفوذها مدينة مليانة، وقد عين العثمانيون بعد دخولهم المدينة حاكما باسم 'قائد'، مثلما فعلوا فيما بعد دخولهم إلى كل من تلمسان، ومستغانم، وتنس، وشرشال.[6]

لقد اصطدم الأخوان عروج وخير الدين بربروس بصعوبات كثيرة، زادت من حدتها المقاومة الشديدة من طرف القبائل والخطر الإسباني الذي عجل بمقتل عروج سنة 1518م[7] وخوفا من أن

---

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964 ص42.

[2]- محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص188-189.

[3]- مبارك الميلي: **مرجع سابق**، ج3، ص46.

[4]- خيرالدين بربروس:**مذكرات خيرالدين بربروس**، تر:محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 201، ص79.

[5]- حميد العبد شيخ سويد الذي كان قاطنا بتنس، هو ابن أخ سلطان تلمسان أبو حمو الثالث، إسمه الحقيقي يحي الثابتين يقال أن تلقيبه بالعبد سببه أمه التي كانت سوداء، وقيل أيضا أنه كان له عشرة آلاف من الفرسان شرّدهم خيرالدين، ولاذ حميد العبد بالفرا، غير أنه تلقى مساعدة من الإسبان وقصد تنس مرة أخرى وسيطر عليها، فثارت ثائرة عروج وقرر ان يسير بنفسه إليها خلال عام 1518م، فكان له ذلك، وضرب عنق حميد العبد (قطع رأسه). راجع في ذلك كل من حاج صادق: **مرجع سابق**، ص31. وخيرالدين بربروس: **مصدر سابق**، ص82-83.

[6] -Diego de Haëdo: **Topographie et Histoire Géneral d'Alger**, Tr :Monnerau et A.Berbugger, S.E, 1870, p51.

[7]- اختلفت الروايات حول مقتل عروج، فالمدني يقول بأن عروج لما تحصن بقلعة المشور بتلمسان، قام بعض السكان بالدخول إلى القلعة ونشبت معركة رهيبة بين الجانبين ولم ينج إلا عروج وقليل من صحبه عبر معبر سري، فخرج ليلا حاملا معه كنوز بني زيان وشرع يسير في اتجاه ناحية بني يزناسن، وهذه الرواية تؤكد أنه تلقى وعدا من سلطان فاس بنجدته، أما الرواية الثانية التي قد تكون الأقرب للصحة وهي أنه اتجه إلى عين تموشنت في الطريق إلى وهران أين لحقت به فرقة إسبانية في المكان الواقع بين سيدي موسى وري ودي سلادو، فقطعت رأسه وحمل إلى وهران. راجع في ذلك مبارك الميلي: **مرجع سابق**، ج3، ص50-51.

تعم الفوضى في مناطق نفوذ الأتراك العثمانيين، وأن يظهر العصيان والتمرد من قبل السكان المحليين، قام بنشر فرق جيشه داخل المدن الحدودية مع منطقة وهران، في مستغانم، وتنس، وملیانة.[1]

لم تعرف منطقة ملیانة هدوءا كبيرا خلال الفترة العثمانية، فبعد مرض حسن آغا وهو عائد من تلمسان إلى الجزائر العاصمة وتفاقم مرضه الذي أدى إلى وفاته بالحمى سبتمبر 1543م،[2] وبانتشار نبأ وفاته في قبائل المناطق الداخلية التي كانت تخشاه كثيرا بسبب الاضطهاد والقمع الذي كان يمارس ضدهم من قبل العثمانيين باستمرار، قام أحد الشيوخ في المنطقة المسمى بوطريق الذي كان شيخا على القبائل المتمركزة قرب ملیانة بحمام ريغة، بثورة ضد العثمانيين، وجمع من أجل ذلك 20 ألف مقاتل من المشاة والفرسان من قبيلته وبعض القبائل الأخرى، وتوجه صوب مدينة الجزائر نهاية مارس 1544م،[3] وقام بقطع الطرق أمام اليولداش، ولم يجرئ أحدا من الخروج من مدينة الجزائر إلا القائد المعين حديثا على ملیانة المدعو حسن، والذي كان معتمدا كثيرا على شجاعته و الأربعين إنكشاري مسلحين بالبنادق، بعد أن ألح على حاكم الجزائر حاجي باشا من أجل السماح له بالالتحاق بمنصبه في ملیانة مؤكدا أنه سيقضي على الثائرين في الطريق، ويمنع وصولهم إلى ملیانة و رغم محاولة حاجي باشا منعه من ذلك، لأنه كان يعلم المخاطر التي سيقع فيها هذا القائد وفرقته، ولكن أمام إلحاحه تركه يخرج ولم يسير هو وفرقته لأكثر من يوم حتى علم بذلك بوطريق فسار إليه وقضى عليهم.[4]

هذا ما دفع بحاجي باشا حاكم الجزائر بالخروج على رأس جيش جمعه من أجل معاقبة الثائرين بزعامة بوطريق ،الذين حاصروا الأتراك داخل أسوار الجزائر العاصمة في أواخر شهر ماي 1544م، وقدر جيشه بـ 4000 تركي و500 أندلسي وعين على رأس المشاة قائد من أصل صقلي يدعى قطانيا Catania كما أخذ معه قادة أتراك من بينهم القائد صافا Saffa الذي

1- Diego de Haëdo: **Histoire des Rois d'Alger**, Tr: H-D. De Grammont, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger, 1881, p36.

2 -**Ibidem**, p68.

3- مبارك الميلي: **مرجع سابق**، ج3، ص72.

4- Diego de Haëdo : **Histoire des Rois**.., Op cit, p70.

سيصبح حاكما للجزائر وتونس، والقائد أميسة Amiça الذي عين قائدا لمليانة عوضا للقائد حسن المقتول من قبل الثوار، والقائد مصطفى قائد المدية، وتقدم حاجي باشا بجيشه وكان لقائه بالثوار يبعد بثمانية محلاتLieus من مدينة الجزائر وأربع محلات من مدينة مليانة عند سفح جبل ماطا، فبدأت المعركة حيث قضى فيها الأتراك العثمانيين على الجيش الثائر الذي يقوده الشيخ بوطريق، كانت مجزرة رهيبة لأن الكفة كانت لصالح العتاد وليس العدد بحيث كان يمتلك الجيش التركي العثماني بنادق في حين عتاد الثائرين يتمثل في الرماح والدروع، وبانهزام جيش الثائرين هرب الشيخ بوطريق نحو فاس بالمغرب الأقصى، أين استقبله سلطانها بحفاوة كبيرة. [1]

ولما ترك البايلرباي حسن بن خيرالدين قيادة المنطقة الغربية من الجزائر للباي بوخديجة سنة 1563م وتحت قيادته 80 خيمة من اليولداش، أي حوالي 1600 رجل واستقر حكم هذا الأخير بمدينة مازونة شمال شلف في جبال الظهرة على أساس أن الإسبان لا يغامرون بالخروج إليها، وكان هذا الأخير مستعد لنجدة مدينة مستغانم وقلعة بني راشد، وبذلك تأسس بايلك الغرب بدءا من مازونة إلى غاية مدينة مليانة ثم بقية مدينة وهران، فتحولت مليانة من مقاطعة تابعة لدار السلطان[2] إلى منطقة تابعة للغرب عاصمتها الأولى مازونة ثم معسكر.[3]

وهكذا احتفظت مليانة بمكانتها طيلة العهد العثماني في الجزائر، فنزل بها المسافر قاصدا المشرق أو المغرب، وخاصة الحجاج طلبا للراحة أو لزيارة المدينة نفسها ووليها، ويقول الشيخ ابن مسايب التلمساني وهو مسافر إلى الحج، مارا بمليانة، زائر لوليها أحمد بن يوسف:

---

[1] -**Ibidem**, p71.

[2]- وكانت تضم مليانة وما إليها من براز والحشم وبني زقزق وبني فَرْح وبني غَمْريان وبوراشد والفغايلية والعبيد وبني بودُوان وبني بوخنوس. راجع حول ذلك حاج صادق: **مرجع سابق**، ص150.

[3] -Ernest Mercier: **Histoire de l'Afrique Septentrionale** (**Berberie**) **depuis les temps les plus Reculés j'usquà la Conquête Française 1830**, T3, Ernest leroux Editeur, Paris, 1868, p61.

اقْطَعْ المِشْرَعْ وتْهَدَفْ وبَاتْ مَنْ ثَمَة لاَ تَلْهَفْ

زُورْ سِيدِي أَحْمَدْ بَنْ يُوسَفْ وبَاتْ مَلْيَانَة دَاخَلْهَا

قُومْ قَبْلْ طْلُوعْ الغْرَارْ وَوَاعَدْ المِدْفُون فِي زَّكَّار

زُورُو وَادْخُل عَنْدَه لَلدَّارْ وَعَدْتُه-الوعدة- لاَبُدْ تَعْطَيهَا[1]

لقد أدرك العثمانيون أهمية مليانة الإستراتيجية بما أنها تشرف على الطريق الواصل بين الجزائر ومدن بايلك الغرب مثل تلمسان، ومستغانم، ووهران فأسكنوا بضواحيها قبائل المخزن وجعلوا منها "قناق" أي نهاية مرحلة،[2]وتعرضت مليانة دوما لعبث قبائل السهل والجبل وكان الأتراك العثمانيون يعارضون ذلك بأعراب المخزن، وهم قبائل يعفونهم من الضرائب ويجندون منهم المحاربين لتحقيق الأمن وقبض الضرائب، فخلال القرن الثامن عشر الميلادي جلب الباي إبراهيم من ناحية البيض فرقة من أولاد عيسى أجداد الحاج الصادق وحطهم في دوار الفغايلية لصد بني زقزق وأولاد ميرة الذين كانوا يهاجمون مليانة.[3]

وكانت ناحية مليانة في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أي بأقل من عشرين سنة من نزول الفرنسيين بسيدي فرج مجالا لثورة بني مناد عام 1813م في أيام قارا باغلي ثم للصوصية قبائل العطاف وشيخهم البغدادي الذي صار من بعد ذلك صهرا لأسرة الأمير عبدالقادر.[4]

وليس لدينا من وصف لمليانة فيما يخص الوضع الاقتصادي خلال العهد العثماني أحسن من وصف الرحالة الحسن الوزان الذي مر عليها في بداية النصف الثاني للقرن السادس عشر فيقول:"...**يكاد يكون سكانها كلهم صناعا، نساجين أو خراطين، ويصنع هؤلاء أواني من**

---

[1]- عبدالرحمان الجيلالي: **مرجع سابق**، ص216.

[2]- مولاي بلحميسي: **مرجع سابق**، ص147.

[3]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص150.

[4]- **نفسه**، ص32.

خشب في غاية الحسن، ويشتغل كثير من السكان بالفلاحة، وقد عاشوا كلهم أحرارا حتى جاء بربروس فأخضعهم وفرض الضرائب".[1]

أما فيما يخص الحياة الثقافية والعلمية فإن ذلك الإزدهار الذي عرفته مليانة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فإن بريقه قد زال، فأبوالقاسم سعدالله عند حديثه عن العالم يحي الشاوي المولود بمليانة،[2] يقول: "...ولم نكن نعرف أن مليانة عندئذ كانت تعيش حياة علمية مزدهرة، أو كان فيها علماء بارزون، غير أننا نعرف أن زاوية ابهلول المجاجي قرب تنس، كانت مشهورة بعلمائها وطلابها. فكان أهل تلك النواحي (ومنهم أهل مليانة) يقصدونها للقراءة الثانوية قبل أن ينتشروا في الأرض بحثا عن المزيد من العلوم في مدينة الجزائر وفي تلمسان، وفي فاس وغيرها.."، [3] وممن اشتهر من علماء مليانة خلال هذه الفترة:

-يحيى الشاوي المليانى المتوفي 1096هـ- 1685م:

ولد أبو زكرياء يحي بن مْحمد الشاوي النائلي المليانى بمليانة، تاريخ ميلاده مجهول كما أن نسبته إلى الشاوية وإلى أولاد نائل غير معروف، تلقى دراسته الإبتدائية بمليانة، ثم مضى إلى مجاجة للتكميل بزاوية محمد بن مْحمد بن علي أبهلول، ثم إلى تلمسان حيث قرأ على سعيد المقرين وبعدها ارتحل إلى مدينة الجزائر حيث أخذ عن أبو الحسن علي أحمد بن عبدالواحد الأنصاري السجلماسي، وسعيد قدورة وعيسى الثعالبي، وحج سنة 1663م، وبعد عودته من الحج استقر بالقاهرة وقرأ على مشاهير علمائها البابلي والشرابلي والمزاحي، قبل أن يشرع بدوره بالتدريس بجامع الأزهر، كما تولى الفتوى للمالكية، وألقى دروس في مدارس القاهرة الكبرى الأشرفية والسليمانية والسرغتمانية مضى إلى دمشق ودرس بمسجد بني أمية وأجاز فيها العديد من علمائها مثل محمد الأمين بن فظل الله المحبي،

---

[1]- مارمول كربخال: **مصدر سابق**، ج2، ص35.

[2]- من كبار علماء القرن السابع عشر، ليس هناك تاريخ محدد لميلاده، فقد قرأ بمسقط رأسه مليانة في الكتاتيب، فحفظ القرآن والمتون، ثم انتقل إلى تلمسان فأخذ العلم على يد سعيد المقري، ثم توجه إلى فاس، اشتغل بالتدريس بالجزائر قبل أن يتوجه إلى المشرق، وجلس للتدريس بالأزهر، ألف عدة تآليف منها التحف الربانية في جواب الأسئلة المدانية، فتح المنان في الأجوبة الثمان، حاشية على شرح المرادي. للمزيد راجع أبوالقاسم سعد الله: **مرجع سابق**، ج2، ص109-115.

[3]- **نفسه**، ص108.

وفي آخر حياته سمي بأمير الحج على الركب المغربي، وكان يفضل طريق البحر فمات على ظهر السفينة بحر القلزم-البحر الأحمر-ودفن بالقاهرة، وخلف خمس رسائل في التوحيد وأربعة في النحو، وواحدة في التفسير كلها موجودة بخزانة الرباط وتطوان وتونس.[1]

4-التركيبة البشرية:

يذهب معظم النسابة والمؤرخين إلى أن السكان الأصليون لمنطقة الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط هم البربر،[2] ويقول في ذلك عبدالرحمان ابن خلدون: "..**وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة – مضغرة- ومطماطة...**"، [3] وكل من مضغرة، ومطماطة، ولماية، وصدينة، ومديونة، ومغيلة، وملزوزة، ومكناسة، ودونة هم إخوة، وكلهم من ولد فاتن بن مصيب بن حريس، وكلهم بطون من البرابرة البتر.[4]

وأما عن القبائل العربية التي استقرت في المنطقة، فأهمها زغبة التي توزعت مابين المسيلة وقبلة تلمسان، فمنهم بنو يزيد، أولاد حصين (تتكون من جندل وخراش، فمن جندل أولاد سعد، ومن خراش أولاد مسعود، أولاد عريف)، بنو مالك (منها ثلاثة بطون: سويد، بن عامر، بن مال وهم بطنان: العطاف والديالم).[5]

وفيما يلي القبائل التي كانت منتشرة بمنطقة مليانة والمساحة الموزعة عليها:

أ-قبيلة ريغة RIGHA

تعد قبيلة ريغة من أهم قبائل منطقة مليانة بفضل موقعها وبع سكانه، فأصل ريغة غامض لكن جل عاداتهم ترجعها إلى الأصول البربرية لكن البعض يرجع أصولها إلى قبائل عمراوة.

---

[1]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص117-120.

[2]- عبدالرحمان بن خلدون: **مرجع سابق**، ج6، ص117.

[3]- **نفسه**، ص134.

[4]- عبدالرحمان بن خلدون: **مرجع سابق** ، ص155.

[5]- **نفسه**، ص 154-160.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 13000 هكتار.

ب– قبيلة بوحلوان BOU HALOUAN

تقع هذه القبيلة شمال وشرق قبيلة ريغة وتنقسم بدورها إلى قونطاس Gontas وزمول Zmouls يقطنون في منطقة ذات أرضية وعرة لكنها خصبة تعطي إنتاج ذي جودة عالية.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 7700هكتار.[1]

ج– بنو زقزق BENI ZOUG–ZOUG

أقدم اتحاد للقبائل متكون من أهل الواد، بلاد مراح، أولاد مباختة، أولاد الشيخ، وأولاد عبو، وأصول أسمائها من المرابطين يسكنون جزء كبير من سهل شلف، أرضهم خصبة تكثر بها المستنقعات.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 1200 هكتار.

د– بوراشد BOU–RACHED

قبائل بوراشد أصلها بربري لهم عادات البربر لكنهم يعيشون مثل العرب، يستقرون جنوب جبل دوي.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 14000 هكتار.

هـ – هراوات HARAOUAT

هذه القبيلة نقسم إلى فرقتين وهما هروات الشرّاقة (الشرق) وهروات الغرابة (الغرب)، يدعون أنهم ينحدرون من أولاد سيدي عبدالله مرابط وهران، لكنهم في الحقيقة من أصل بربري.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 1200 هكتار.[2]

و– الطيبيين TIABIN

قبيلة صغيرة من المرابطين جاءت من الجنوب (القبلة)، وهم رعاة.

---

[1]–Camille Ricque : **Milianah**, Libraire de l'istitut.de la Bibliothèque Impérial et du sénat, Paris, 1865, p10.

[2]– **Ibidem**, p11.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 3000 هكتار.

ز- خوبازة KHOBBAZAH

قبيلة فقيرة جدا تسودها الأمية، وجد متخلفة نجد فيها بالكاد ثلاث أو أربع أشخاص يستطيعون القراءة والكتابة.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 7000 هكتار.

ح- بطحية BETHAYAH

قبيلة الطلبة والمرابطين يقطنون بلاد جد صعبة، مقطوعة بجبال وعرة يصعب بلوغها.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 16000 هكتار.

ط- بني بودوان BENI BOU DOUAN

إن قصتهم جد غامضة، وهي من بين أهم قبائل البربر في منطقة مليانة وأكثرهم نفوذا.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 24300 هكتار.

ي- بني بوعتاب BENI BOU ATTAB

قبيلة بربرية انفصلت عن قبيلة بني بودوان يستقرون ببلاد موحشة تفتقر إلى الماء والزرع وهم جد فقراء.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 6000 هكتار.[1]

ك- جندل DJENDEL

تعد من أغنى وأقوى القبائل التي تقطن الجزء الشرقي لمنطقة مليانة، على طريق المدية.[2]

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 10000 هكتار.

ل- بني حامد BENI-HAMET

تعد من القبائل الغنية تمارس بعض الحرف والتجارة، أرضهم خصبة لكن تنتشر بها المستنقعات.

1- **Ibidem**, p12-13.

2- عبدالرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج6، 155.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 6000 هكتار.

م- بني فاطم BENI-FATHEM

وهم فرقة من قبيلة مطماطة الكبيرة، أغلبهم مزارعون ومربون للأحصنة.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 8200 هكتار.[1]

ن- مطماطة MATHMATA

قبيلة من أصل بربري كانت تشكل اتحاد من القبائل،[2] لم يستطع العثمانيون السيطرة عليها، وأصبح إقليمهم يسيطر عليه بعد الاحتلال الفرنسي السيوف، وبني حامد، وبني فاطم، وعزيز، وبلال، وجزء كبير من بني زقزق.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 18000 هكتار.

س- اتحاد براز CONFEDERATION DES BRAZ

يتكون من خمسة قبائل تنحدر من بني الأحمر وبعض فرق سبيح الذين يستقرون في البلاد، واختلطوا مع قبائل ذي أصل بربري.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 29000 هكتار.[3]

ع- بني فراح BENI FERAH

قبيلة أصلها بربري، صاهرت المرابط الولي الشهير أحمد بن يوسف الملياني.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 16000 هكتار.

ف-عبيد ABIDS

وهم قبائل من قبيلة عمراوة المتكونة من عدة عناصر فالأتراك العثمانيون جاءوا بعائلات زمول

---

[1]- Camille Ricque : **Op cit**, p14.

[2]- هم إخوة مضغرة ولماية من ولد فاتن بن تمصيت، وعن سابق المطماطي وأصحابه النسابة أن اسم مطماط مصكاب، ومطماط لقب له وأن شعوبهم من لوا بن مطماط وأنه كان له ولد آخر اسمه ورنشيط. أنظر عبدالرحمان بن خلدون: **مصدر سابق**، ج6، ص161.

[3]- Camille Ricque : **Op cit**, p12-13.

وسبيح وأولاد قصير وشوشواد وكونوا منهم قبائل المخزن من أجل التصدي للاضطرابات والثورات المحلية، والدفاع عن ضفاف شلف.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 2500 هكتار.

ص- موهابة، صباحية وعريب MOUHABBAH, SBAHIA ET ARIB

وهي قبائل صغيرة في محيط واد شلف.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 13500 هكتار.

ث- العطاف ATTAF

تعد هذه القبيلة الأكبر والأكثر من حيث الكثافة السكانية في منطقة مليانة، ولهذا أصبحت أغاليك وأصل هذه القبيلة من بني الأحمر من مقاطعة وهران.

تنتشر على أرض مساحتها تقدر بـ 4600 هكتار.[1]

5-الوضع الإقتصادي لمليانة:

أ- الزراعة:

لعل أهم نشاط إقتصادي مارسه سكان مليانة هو النشاط الرزاعي، بسبب توفر المياه وخصوبة الأراضي، فانتشرت فيها الاشجار المثمرة كأشجار الجوز والتين بشكل واسع، ووصفها الحسن الوزان قائلا: "..**بأنها جبلها مغطى بأشجار الجوز حتى أن ثماره كانت لا تجد من يقطفها لوفرتها، وأن أغلب سكانها لا يحتاجون إلى شرائها**.."، كما كانت توجد بها زراعة البقول والفواكه المختلفة خاصة منها الصيفية، ومما كانت تنتجه المنطقة، الحبوب بأنواعها، وأشار الإدريسي إلى ذلك بالقول "**أنها كثيرة الزرع**"،[2] وعرفت المنطقة أيضا زراعة الأرز حيث ذكر فونتير دي بارادي Venture de Paradis أنه وفي مقاطعة الجزائر وعلى مسيرة يوم جنوبا يزرع الأرز في منطقة محصنة تسمى مليانة، كما أنه بدأ يزرع بمنطقة ثانية تدعى مينا، تنتجان سنويا حوالي 5آلاف

---

[1]- **Ibidem**, p19-21.

[2]- حساني المختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية –مدن الوسط–**، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 123.

و6آلاف قنطار، وهذه الكمية تلبى حاجة البلاد وأصبح لا يستورد من مصر، أما من ناحية النوعية فإن أرز مليانة ذو جودة من أرز مينا. [1]

ب- الصناعة:

لقد كان أهالي مليانة يمارسون حرف متنوعة، كحرفة النسيج، للملابس وغيرها، نتيجة توفر مادة الصوف والقطن، وصناعة الأواني الخشبية لكثرة الغابات المحيطة بالمنطقة، [2]كما اشتهرت المنطقة بنوع من الصناعة الغذائية، وهذا ما جاء به حمدان خوجة في كتابه المرآة: "..**صناعة نوع من المعجون بعصير العنب واللوز، يمكن الاحتفاظ به طول السنة..**". [3]

لقد استغل الأتراك العثمانيون الصناع في مليانة من خلال مطالبتهم بتجهيزهم بكل ما تحتاجه الإنكشارية من سروج، وبرادع[4]وأسلحة نارية وحدادة، وغيرها من المستلزمات العسكرية،[5] إلا أنهم كانوا يجهزون الأوجاق بدون مقابل رغم دفعهم للضرائب. [6]

ونتيجة كل ذلك قام الباي محمد الكبير في سنة 1792 م بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني إلى جلب الصناع الحرفيين إليها من مليانة. [7]

ج- التجارة:

لقد ساهم الازدهار الزراعي والصناعي في تطور النشاط التجاري، فتنوعت تجارتها الداخلية والخارجية، فمحليا كانت تنظم السوق الأسبوعية كل يوم خميس، حيث يتوافد عليها سكان المنطقة

---

[1] -Venture Deparadis: "Alger au XVIII Siecle", **R.A**, V 39, 1895, P287.

[2]- حساني المختار: **مرجع سابق**، ص123.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تق وتح: محمد العربي الزبيري، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص96.

[4]- **البرداع**: جمع البَرْدَعَة، وهي كساء يلقى على ظهر الدابة. أنظر بالتفصيل مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص48.

[5]- ناصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ –العهد العثماني–**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص62.

[6]-Julien Charle André : **Histoire de l'Algérie Contemporaine-la Conquête et les Debuts de le Colonisation (1827-1871)**, Casbah Editions, Alger, 2005, p14.

[7]-عبدالرحمان الجيلالي: **مرجع سابق**، ص317.

من القرى المختلفة وحتى المناطق المجاورة لها قصد بيع وشراء منتوجاتهم المختلفة، ويقع السوق جنوب مدينة مليانة، والذي سيتحول فيما بعد إلى مدينة تسمى خميس – مليانة، وفيما يخص تجارتها الخارجية فإنها كانت تصدر إلى أوروبا الحبوب عبر ميناء مدينة شرشال، ومما يؤكد ذلك أن محمد بن يوسف عندما استقل بمليانة، ربط علاقات تجارية مع ميورقة [1]وأرجون،[2] سمحت له بتصدير الحبوب والمواشي والأصواف عبر ميناء شرشال. [3]

وجاء وصف مدينة مليانة غداة احتلالها من قبل الفرنسيين 8جوان 1840م بأنها مدينة تقع على 900م فوق سطح البحر، يحدها شمالا جبل زكار الذي يرتفع بدوره إلى 1534م، وهي محاطة بالبساتين والمياه التي تسقيها إضافة إلى قربها من زكار جعلها من أهم المناطق الجذابة في الجزائر.[4]

وهي تمتد على شكل إهليج منحصرة بين وادين شديدي الانحدار، فيشكلان بذلك حاجز طبيعي وكأنهما أسوار، أما قصبة المدينة نجدها في أحد طرفي الطريق الرئيسي فطرقها ضيقة وملتوية، وبالنسبة للمنازل فهي مبنية من الطين المجير بالجير الأبيض، وتتشكل من طابقين علوي وسفلي، ويوجد بها سرداب داخلي مربع الزوايا، وهي في الغالب على شكل المنازل الموريسكية، وساحاتها تحتوي على أشجار البرتقال والليمون التي تظللها وتزكي رائحتها، وهناك مجموعة من قنوات المياه الأرضية التي تزود النافورات العامة والمنازل. [5]

---

[1]- **ميورقة**: مدينة تقع بجزر البليار شمال غرب إسبانيا، فتحها المسلمون سنة 903م، وسقطت في يد الإسبان سنة 1230م، سمح لها موقعها بربط علاقات تجارية مع المدن القريبة منها كشرشال وتنس. ينظر بالتفصيل الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ط2، ج5، دار الجبل، بيروت، 1988 ص189-192.

[2]- **أرغون**: مدينة بإسبانيا تقع بالقرب من قرطبة. راجع **المصدر نفسه**، ج1، ص144.

[3]- حساني المختار: **مرجع سابق**، ص123.

[4]- **نفسه**، ص124.

[5] -Rozet et Carette: **L'Algérie**, Firmin Didot Frères, Editeurs Imprimeurs de l'Institut, Paris, 1850, P122.

كما تحتوي المدينة على 25 مسجد وجامع على الأقل،[1] واحد منها عبارة عن مدفن لوليها الشهير أحمد بن يوسف. [2]

[1]- ومن المساجد التي كانت موجودة بالمدينة يذكرها الحاج صدوق وهي: مسجد الأتراك، ومسجد البطحاء. عد بالتفصيل إلى حاج صادق: **مرجع سابق**، ص52.

[2]- ومن الأضرحة الشهيرة بالمدينة هناك ضريح محمد بن أبي القاسم، وضريح القلعي، وضريح أحمد بن يوسف. ينظر **المرجع نفسه**.

الفصل الثاني

المقاومة الوطنية بمليانة قبل معاهدة التافنة 1837م

1- مليانة ومبايعة الأمير عبدالقادر.

2- التنظيمات الإدارية والعسكرية.

3- المقاومة الوطنية بمليانة قبل1837م.

1- مليانة ومبايعة الأمير عبدالقادر:

أ-مليانة قبل مبايعة أهاليها للأمير عبد القادر:

لقد قالوا إنها حملة عسكرية تأديبية انتقامية، تؤدي دورها ثم تعود من حيث أتت سحابة ثم تنقشع!، ولكن الحملة استغرقت قرنا وربعا. [1]

وفي غضون أيام تحولت الحملة إلى احتلال وتحول تأديب الداي حسين إلى تأديب شعب وأرض، وأطلقوا منذئذ على هذه العمليات إسما جديدا هو التهدئة Pacification، وتحول الإنتقام من "الترك المستبدين الغرباء" إلى الانتقام من صاحب الدار نفسه لأنه عربي، ولأنه مسلم، ولأنه رفع سلاح المقاومة في وجه الاحتلال، وأخيرا تحول المحررون إلى غزاة نقلوا حربهم من مدينة الجزائر إلى مختلف أنحاء القطر شرقا وغربا وجنوبا، وقد شمل هذا الغزو الإنسان والأرض والثقافة والدين. [2]

وفعلا هذا ما جسده الفرنسيون وقادتهم السياسيين والعسكريين مدة 132 سنة من 5 جويلية 1830م إلى 5 جويلية 1962م بموجب معاهدة استسلام وقعها حاكم الجزائر آنذاك الداي حسين مع قائد الحملة الفرنسية ضد الجزائر دي بورمون De Bourmont [3]الذي قام بتوزيع بيان شبه أمان على الجزائريين "هذه مناداة من سار عسكر أمير جيوش الفرنساوية إلى سكان الجزائر وأهالي القبائل" الذي تعهد فيه أن فرنسا وجيشها هنا من أجل معاقبة الداي حسين ليس إلا، وأن على الجزائريين الإطمئنان على دينهم، وأرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأراضيهم، لكن هيهات إن كان هذا صحيحا ووعدا مصدوقا، فسادت الفوضى وساد النهب والسلب وغاب الأمن وذهب كثير من أهالي مدينة الجزائر ضحية لتصرفات جيش الأمة الفرنسية المتحضرة كما ادعت.

---

[1]- أبو القاسم سعدالله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص15.

[2]- **نفسه**، ص16.

[3]- **دو بورمون**: ولد في سبتمبر 1773، وتوفي 27 أكتوبر 1847، أحد الفارين قبل معركة واترلو سنة 1815، والتحق بالملك لويس الثامن عشر، فعينه وزيرا للحربية برتبة مارشال 24 أوت 1830، قاد الحملة الفرنسية على الجزائر، وعزله لويس فليب وعين مكانه كلوزيل. أنظر:

Narcisse, Faucon : **Livre d'or de l'Algérie**,T 1 challamel , Paris 1889, P108-111.

وفي ذلك يقول حمدان خوجة:"...**قام هؤلاء** –الفرنسيون- **باقتلاع سياجات الحديد، وتهديم الحمامات وحملوا إلى الأسواق ما تبقى من الأشياء، فباعوها أمام أعيننا، وبذلك يكون الفرنسيون قد اتبعوا طريقة البرابرة، بل أنهم كانوا أكثر فسادا، لأنهم هدموا ما كان مبنيا وخربوا ما كان موجودا.."**.[1]

وهذا سيصبح أبسط قواعد تصرفات العسكريين الفرنسيين في الجزائر لأكثر من قرن وربع قرن، وهذا ما ستشهده بقية المدن الجزائرية منها وهران، وعنابة، ومستغانم، والبليدة، ومعسكر، وقسنطينة، وتلمسان، والمدية، ومليانة ما بين 1830م-1840م.

لقد كانت مليانة مقرا للكثير من الموظفين الأتراك، وقدر عدد سكانها سنة 1830م بـ 10 آلاف نسمة،[2] في حين يذكر أدولف فيلهيم دنسن Adolph Vilhem Dinesen أن عدد سكان مدينة مليانة تراوح بين 3 آلاف و4 آلاف نسمة وهو الأقرب للصحة. [3]

فبعد أن تم التوقيع على معاهدة الاستسلام توجه خليفة الباي حسن إلى وهران مع كل من كان معه إلى مقاطعته وبم أنه أسرع في سيره، فإنه كان أول من نقل خبر كارثة مدينة الجزائر إلى سكان تلك المقاطعة، فليس من المستبعد أن شاع وانتشر خبر هذه الكارثة بين سكان منطقة مليانة.[4]

أ.أ-التدخل المغربي في مليانة:

كما أننا لا ننسى موقف سلطان المغرب مولاي عبدالرحمان[5] الذي لم يبدي أي تأسف ولا

---

[1]- حمدان خوجة: **مصدر سابق**، ص204.

[2]- André Julien, **Op cit**, p09.

[3] -Adolph Vilhelm Dinesen: **Abdelkader et les relation entre les Français et les Arabes en Afrique du Nord**, Tr : Fondation EmirAbdelkader, Edition A.N.E.P, S.D, p25.

[4]- حمدان خوجة: **مصدر سابق**، ص213.

[5]- **عبدالرحمان بن هشام**: سلطان الدولة العلوية بالمغرب الأقصى1822-1859، حاول التدخل في شؤون الناحية الغربية للجزائر إثر سقوط مدينة الجزائر في 5جويلية 1830، انهزم في معركة إيسلي 1844، واضطر على توقيع معاهدة لالا مغنية 1845 التي نصت على غلق الحدود المغربية في أحمد الناصري: **مصدر السابق**، ج9، صص 42-47.

تضامن مع الجزائر بعد نجاح الحملة الفرنسية في إحتلال مدينة الجزائر بل إنه أبدى حياد المملكة المغربية لنائب قنصل فرنسا بطنجة في سنة 1830م،[1] وإن كان مولاي عبدالرحمان سلطان المغرب أعلن حياده فيما يخص القضية الجزائرية في بادئ الأمر، إلا أنه ما لبث أن أحيا أطماع التوسع المغربي في غرب الجزائر، والذي اتخذ تلمسان كقاعدة لنشر نفوذه في اتجاه الشرق تحت حجة أن سكان تلمسان وعلى رأسهم الحضر بعثوا منذ شهر أوت 1830م بإيعاز من ابن نونة[2] إلى عامل السلطان عبدالرحمان في وجدة أبي العلاء إدريس الجراري وعبروا له عن رغبتهم في الدخول تحت حكم المملكة المغربية، فلجأ السلطان إلى مجلس العلماء طالبا للمشورى والفتوى، فرؤوا أنه من الضروري أن يحصل السلطان على إذن الخليفة العثماني بحيث هو صاحب السيادة على تلمسان وما جاورها، ورغم هذا الشرط فإن سكان تلمسان من حضر وكراغلة أعادوا في شهر سبتمبر1830م الكرة، وبعثوا وفدا يتكون من 200 شخص كلهم من أعيان المدينة،[3] ونتيجة لهذا الإسرار وافق سلطان المغرب دون تردد، وهكذا بدأ التدخل المغربي في الجزائر، فعين السلطان خليفة له على تلمسان وهو ابن عمه وصهره مولاي علي بن مولاي سليمان، الذي كان لا يتجاوز الخمس عشر سنة، وجعله تحت وصاية عامله على وجدة إدريس الجراري، وسار نحو تلمسان بقوة قوامها 500 جندي وضابط، ودخلها في 7 نوفمبر 1830م، واتخذ قصر الباي السابق مقرا له.

وما لبث أن جاء رد فعل الفرنسي على هذا التدخل في الجزائر عن طريق نائب قنصل فرنسا في طنجة دولابورت Delaporte وردت السلطات المغربية على هذا الاحتجاج بأن فرنسا لا تهمها إلا

---

[1]- André Julien, **Op cit**, p59.

[2]-**ابن نونة:** هو محمد بن نونة من أصل مغربي مدينة فاس، استقر بتلمسان بعد 1830، وأضبح قائدا على الحضر بها، دعم التدخل المغربي في الجزائر وبعدما ضم الأمير عبدالقادر لتلمسان 1834 هرب إلى المغرب وتوفي بوجدة سنة 1841. للتفصيل أكثر ينظر إلى

Georges Yver : **Rapporte et Entrevues Inédits sur l'Émir Abdelkader-Les Correspondances du Capitaine Daumas Consul de France à Mascara 1837-1839**, Pr : Mahfoud Smati, El Maarifa, Alger, 2008, p320.

[3]-إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص28.

الجزائر، ولا يحق لها أن تتدخل في الأمور التي تتعلق بمصير تلمسان التي اضطر السلطان إلى النزول عند رغبة سكانها بعد إلحاحهم في الترجي بأن يدير شؤونهم، كما كان هناك رد فرنسي ثاني صدر عن الجنرال كلوزيل Clauzel [1]قائد قوات الاحتلال في الجزائر الذي بلغه خبر نزول قوات السلطان في تلمسان فاتصل بنائب قنصل فرنسا،[2] في طنجة في يوم 30 نوفمبر 1830 وكلفه أن يقدم رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى السلطان باسم الحكومة الفرنسية، وقد أمره أن يخير السلطان بين أحد الأمرين، إما أن يسحب قواته من تلمسان أو قيام القوات الفرنسية بغزو أراضيه وضرب موانئه، لكن السلطان المغربي لم يرد على هذا الاستفزاز، فقرر كلوزيل من جديد توجيه إنذارا نهائيا، فبعث إلى السلطان برسالة مع أحد كبار ضباط القيادة العليا في الجزائر أوفراي Auvary يطلب إليه فيها أن يسحب قواته من بايلك الغرب ويسلم خليفته مولاي علي إلى باي وهران،[3] وليقدم تعويضات عن الخسائر التي تحملها بايلك الغرب، لكن مندوب كلوزيل لم تستقبله السلطات المغربية لأنه عجز عن تقديم أوراق اعتماده بل إنه لم يجد حتى مترجما يقوم بترجمة رسالته إلى العربية بسبب محتواها ولهجتها الغليظة، فعاد أوفراي إلى الجزائر في 5 جانفي 1831م، وقد كتب الكونت سيباستياني Sebastiani مذكرة احتجاج للسلطات المغربية،[4] احتجاجا على خرقها للحدود الجزائرية في 31 جانفي 1831م، ورد السلطان عبد الرحمان على هذا المسعى بمذكرة بتاريخ فيفري 1831م أكد

---

[1]- **كلوزيل** :ولد في 12 ديسمبر 1772 في مير بوا Mire poix بفرنسا ، تولى عدة وظائف في الجيش و السفارة الفرنسية في إسبانيا ، و قيادة الجيش في سان دومنيك ، كلف بمهام عسكرية في كل من هولندا و إيطاليا ، في 1816 حكم عليه بالإعدام ثم تم العفو عنه بعد أبع سنوات ، بعدها أصبح نائبا في البرلمان، وتولى القيادة العامة للجيش الفرنسي في الجزائر بعد ديبورمون يوم 7 أوت 1830 ، ترقى إلى رتبة ماريشال سنة 1831 ، تولى الجزائر مرتين ، الأولى من 1830- 1831) و قد عزل ، و الثانية (1835- 1836) و لكنه ثم عزل من جديد لفشله في حملة قسنطينة الأولى . تميز عهده بالقهر و الغطرسة و العنف ضد الجزائريين مات سنة 1843. للتفصيل أنظر أبوالقاسم سعد الله: **مرجع سابق** ، ص 36.

[2]- **نفسه**، ص29.

[3]- بعد استسلام باي حسن واحتلال وهران قام الجنرال كلوزيل بتأجير بايلك الغرب إلى باي تونس وفق معاهدة، والتي شرع في تجسيدها في 9فيفري1831. حول هذا المشروع عد إلى عبدالجيل التميمي:"مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة1831"، **مجلة الأصالة**، ع32، أبريل1976، صص31-45. وكذلك نص المعاهدة في حمدان خوجة: **مصدر سابق**، صص263-265.

[4]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص30.

فيها نيته السليمة اتجاه الفرنسيين، وفي نفس الوقت حقوقه على تلمسان، إلا أن الحملة واجهت صعوبات جمة منها صراعهم ضد الكراغلة واصطدامها بقبيلتي الدوائر والزمالة الموالين للأتراك ثم الفرنسيين، فقرر السلطان إلى إصدار أمرا إلى خليفته بأن يعود إلى المغرب في 8 مارس 1831م، وفي 3 أوت 1831م عين السلطان عبد الرحمان محمد بن الحمري من قبيلة بني حسن خليفة له على تلمسان،[1] ووصلها في 16 أوت ثم توجه إلى مدينة وهران محاصرا أيّاها، إلا أنه عجز عن اقتحامها وانسحب إلى معسكر أين دخلها وقضى فيها على ما تبقى من حاميتها العسكرية التركية التي تتكون من 200 إنكشاري، فأخذ ابن الحمري يركز نفوذ سلطان عبدالرحمان ويدعم حكمه، فنظم جباية الضرائب واستخلاص الزكاة وبعث بالأعوان والدعاة إلى المناطق الشرقية، فامتدت سيطرته على القبائل و حتى مدينتي المدية وملیانة،[2] وفي شهر سبتمبر 1831م بعث بن حمري ممثل سلطان المغرب مبعوثين إلى كل من المدية وملیانة كحاكمين عليها، فالمدية كان حاكمها يسمى الشريف المواتي أما ملیانة فحاكمها كان إسمه محمد بن شرقي، وبذلك دخلت ملیانة تحت دائرة النفوذ المغربي، كما كتب حاكمها محمد بن شرقي إلى الدوق روفيقو Le Duc de Rovigo [3] الحاكم الفرنسي في الجزائر يطلب منه معاملة العرب باللين، ومنتقدا طريقته في التعامل مع قبيلة العوفية، وعندما رأى روفيقو أن بن شرقي والمواتي يتحدون سلطته كتب لقنصل فرنسا بطنجة كي يحتج لدى سلطان المغرب.[4]

---

[1]- **نفسه** ص31.

[2]- العربي: **مرجع سابق**، ص32.

[3] - **دي روفيقو** : ولد في 1774 بفرنسا ،اكتسب خبرة عسكرية في الحروب النابليونية ، ترقى إلى رتبة جنرال ، عين سفيرا لدى روسيا في 1807 ثم وزيرا للشرطة 1810- 1814 ، عين قائدا عام في الجزائر في 28 ديسمبر 1831 ، اتسم عهده بالقمع ، و ارتكب عدة جرائم في حق الشعب الجزائري منها : إبادة قبيلة العوفية ، قام بتحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة ، عزل يوم 4 مارس 1833 بسبب مرض أصابه ، توفي يوم 20 جوان 1847 بباريس أنظر بالتفصيل:

P, Carpentier :**Le Duc de Rovigo et Pichon** , imprimerie de- David , Paris 1852 , P16 .

[4]-Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**,T1, Librairie Militaire, Paris, 1854, p263.

ونتيجة لهذا التوغل المغربي بدأ الفرنسيون يشعرون أن الموقف أصبح في غير صالحهم، لهذا بدأوا بالضغط على سلطان المغرب ليسحب خليفته بن حمري من الجزائر، ولكي تعطي فرنسا ثقلا خاصا لمساعيها الدبلوماسية بعثت بسفينتين حربيتين إلى طنجة في 18 نوفمبر 1831م، ولم تؤثر تلك التهديدات على سلطان المغرب، ولما فشلت التهديدات العسكرية الفرنسية بعث الملك لويس فيليب Louis phillipe الكونت شارل دو موريني Charles De Mornay صهر سولت Soult مصطحبا معه الرسام الشهير دولاكروا De Lacroix إلى المملكة المغربية.[1]

فاستقبلهم السلطان عبدالرحمان بمكناس يوم 22 مارس 1832، وبعد إحدى عشر جولة من المفاوضات بينهما أعلن سلطان المغرب التخلي عن ادعاءاته بشأن السيادة على تلمسان وتدخلاته في الجزائر، فأمر بعودة بن حمري وعاد معه معاوناه الشريف المواتي من المدية ومحمد بن شرقي من مليانة، لينتهى التواجد المغربي بها نهائيا. [2]

أ.ب–معاهدة دي ميشال وآثارها:

بعد أن انتشر أمر البيعة الأولى في 17 نوفمبر 1832م، وتبعتها بيعة الأمير عبد القادر الثانية بتاريخ 4 فيفري 1833م، ليصبح بعد ذلك زعيم المقاومة الجزائرية الوطنية ضد الفرنسيين. [3]

استطاع الأمير عبد القادر أن يفرض حصارا محكما على القوات الفرنسية التي لم تستطيع التوسع خارج أسوار مدينة وهران، رغم محاولات الجنرال الفرنسي السفاح بواييه Boyer، وأمام هذا الوضع وصل الجنرال دي ميشال De Michels [4]إلى وهران بتاريخ 23 أفريل 1833م خلفا للجنرال

---

[1]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص32.

[2]– André Julien, **Op cit**, p96.

[3]– محمد عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ط2، ج1، تع: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1964، صص162-165.

[4]– – **ديميشال** : لويس الكسيس البارون ديميشال، ولد بديني (فرنسا) في 15 مارس 1779 ، و التحق بالجيش و بلغ رتبة جنرال لما عين قائدا بمقاطعة وهران (1833–1835) ، في بداية قيادته حاول الاعتماد على القوة بغزو القبائل و المدن المجاورة لوهران ، لكنه ما فتئ أن اقتنع أمام قوة مقاومة الأمير عبد القادر ، بضرورة عقد صلح لتفادي الخسائر الحربية ، فعرض الأمير معاهدة سلم وقعها معه في 26 فيفري 1834 وأصبحت تحمل اسمه و قد اعترف فيها لعبد القادر بإمارته على القطاع الوهراني ، و تبادل معه الممثلين الدبلوماسيين . توفي في باريس في 8 جوان 1845. أنظر : الأمير عبد القادر: **مصدر سابق**، ص 78.

بوابيه، وأصبح بذلك دي ميشال حاكما على وهران،[1] وبعد اطلاعه ودراسته للوضع استنتج أن الأمير عبد القادر هو صاحب الأمر الأول والأخير في هذه المنطقة، وأن أقوى القبائل التي تسانده قبيلة الغرابة، لذلك دشن عهده بإعلان الحرب على الأمير عبد القادر وحلفائه من القبائل لمعاقبتها،[2] ولهذا السبب قام ما بين ليلة 7 وصبيحة 8 ماي 1833م بغزو مضارب قبيلة الغرابة التي سلب منها عدد كبير من قطع الماشية، وأخد معه الأسرى ونساء القبيلة إلى وهران.[3]

وهذه السياسة العقابية ستشهدها قبيلة الزمالة والدوائر بتاريخ 05 أوت 1833م،[4] وفي كل مرة استطاع الأمير والمقاومون أن يصدوا الاعتداءات الفرنسية على القبائل الجزائرية، في معارك منها معركة سهل 'تليلات' التي أدت إلى انسحاب الفرنسيين إلى وهران، ومعركة 'التينة' 27 ماي 1833م، ومعركة 'عين البريدية' 11 جوان 1833م، والتي استطاع الأمير عبد القادر وجيشه أن يحقق فيها نتائج إيجابية. [5]

إلا أن الفرنسيين استطاعوا احتلال مدينة وميناء أرزيو في 03 جويلية 1833م، ومن ثم احتلال مدينة مستغانم يوم 28 جويلية نتيجة خيانة الكرغلي القائد إبراهيم،[6] ورغم محاصرة الأمير عبد القادر لمدينة مستغانم ما بين 02-09 أوت 1833م، حيث أحظر معه المعاول والفؤوس وآلات الهدم محاولا اختراق سور المدينة، لم تنجح المقاومة في ذلك رغم أنها ألحقت خسائر بأسوار المدينة وبالجيش الفرنسي، فأدى ذلك إلى انسحاب الأمير عبد القادر وجيشه إلى معسكر. [7]

---

[1]-Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, p139.

[2]- أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847**، ط3، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص99.

[3]-Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, p139-140.

[4]-**Ibidem**, p152.

[5]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، صص100-103.

[6]- **نفسه**، ص104-105.

[7]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص173-174.

وكنتيجة للوضع القائم الجديد في الغرب الجزائري شدد الأمير عبد القادر والمقاومون الحصار حول مراكز العدو الفرنسي، بل أكثر من ذلك قطعوا عنه التموين لأسواقه، وتم منع جميع المعاملات التجارية معه، تحت طائلة عقاب الأمير للقبائل التي لم تمتثل لأوامره،[1] وقد كان لنظام الحصار الذي ضربه الأمير عبد القادر تأثيرا قاتلا على القوات الفرنسية التي كانت تعتمد في تموينها بالحبوب والخضر على القبائل المحيطة بالمدن التي تحتلها، مما أثار مخاوف الفرنسيين وظهرت أعمال عنف داخل وهران، ومستغانم وأرزيو، وكل ذلك دفع بدي ميشال للبحث عن طريقة ليفتح باب التفاوض بينه وبين الأمير عبد القادر من أجل تخفيف وطأة الحصار المفروض عليه،[2] وخاصة بعدما تأكد من عدم جدوى سياسته العسكرية وفشلها أمام قوات الأمير عبد القادر، وهذا ما حدث لقواته في 06 جانفي 1834م في ضواحي وهران بقيادة العقيد أودينوOdinot والرائد تورجي Thorigy حيث هزم شر هزيمة، وتبعتهم قوات الأمير إلى غاية أسوار مدينة وهران، ومن هنا تأكد لدي ميشال أنه لا جدوى من مقارعة الأمير عبد القادر وأن السلم أصبح مطلبه الوحيد. [3]

وبعد مراسلتين جاءت الرسالة الثالثة تعبيرا صارخا عن طلبه للسلام معبرا فيها: "**إذا كنت تود الاحتفاظ بالمكانة البارزة التي وضعتك الظروف فيها، فإنك لا تستطيع في نظري أن تفعل من أن تقبل دعوتي، لكي تكرس القبائل وقتها لحراثة الأرض، وتتمتع بثمار وبركات السلام، في ظل معاهدة تربطنا معا ربطا أكيد**"، وأرسل الأمير عبد القادر رسالة كجواب على رسالة دي ميشال جاء فيها: "**لقد اتصلت برسالتك وفهمت محتواها تماما، ويسرني أن أجد عواطفك تتفق مع عواطفي، إنني أشعر بثقة نحو إخلاص نواياك، ويمكن أن نتفق بأن أي التزام يمكن أن نتوصل إليه سيكون محل احترام من جانبي، إنني أرسل إليك ضابطين من جيشي، وهما ميلود بن**

---

[1]-F.Quesnoy : **l'Armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger**, Libraire Furne, Jouvet et cie Editeurs, Paris, S.D, P67.

[2]- شارل هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ودار الرائد، الجزائر، 2009، ص106.

[3]-Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, P159-160.

عراش،[1] **وولد محمود، وسيجتمعان خارج وهران 'بمردخاي عمار' وسيعلمانه بكل الإقتراحات، فإذا قبلتها فإنك تستطيع أن ترسل إلي، وعندئذ سنكتب معاهدة تقضي على البغضاء والعداوة التي تفصلاننا الآن عن بعضنا، وتحل محلهما صداقة لا انفصام لها، ويمكنك الاعتماد علي لأنني لم أتخلى أبدا عن كلمتي"**، والتقى وفد الأمير عبد القادر بتاريخ 04 فيفري 1834م مع مردخاي عمر اليهودي وأعضاء الأركان الفرنسيين بقيادة دي ميشال، وجارت مناقشات طويلة انتهت إلى مسودة شروط الجانب الفرنسي، وضعها دي ميشال دون التوقيع عليها، ثم غادر وفد الأمير جلسة المناقشات، آخذا معه مسودة شروط الفرنسيين عائدا إلى معسكر، وفي 25 من فيفري 1834م عاد وفد الأمير إلى وهران حاملا مسودة مقترحات دي ميشال موقعة بختم الأمير، ومعه وثيقة شروط الأمير عبد القادر على أن الوثيقتين تصبحان على شكل معاهدة،[2] ووضع دي ميشال ختمه وتوقيعه على وثيقة شروط الأمير عبد القادر، وفي 26 فيفري 1834م اقترح دي ميشال على ابن عراش وضع معاهدة مختلطة تحتوي على أهم ما ورد في الوثيقتين السابقتين، ولكن تنص على الشروط الفرنسية بتفصيل أكثر، ولم يصدر اعتراض من ابن عراش على ذلك، لأنه لم يدرك أن مثل هذه الوثيقة قد يراد بها فسخ الشروط التي وضعها الأمير عبد القادر، والتي ختمها ووقعها دي ميشال، ومن ثم جاءت المعاهدة التي تحمل إسمه، وقد أثارت الكثير من الصعوبات والتعقيدات فيما بعد من قبل الجانب الفرنسي،[3] ولن أشير هنا للشروط التي تضمنتها المعاهدة لأنها ليست موضوع الدراسة، لكن سأشير للمميزات الإيجابية للمعاهدة بالنسبة للجزائريين، بحيث أن هذه المعاهدة بينت أن فرنسا اعترفت باستقلال الأمير ضمن الحدود، التي عينتها مقابل

---

[1]- **ابن عراش:** هو ميلود بن عراش، ولد ببني شقران قرب وهران، من أسرة متواضعة الحال، عين آغا الشرق –معسكر- تحت خلافة ابن التهامي، تميز بالحداقة والمهارة مما أهله لشغل منصب وكيل الشؤون الخارجية لدولة الامير عبدالقادر، فأشرف على إبرام معاهدة دي ميشال1834، ومعاهدة التافنة 1837. للمزيد أكثر عنه راجع **مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849**، تح: محمد الصغير بناني وآخرون، ط7، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص171.

[2]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص109-110.

[3]- **نفسه**، ص111-112.

إعترافه بالسيادة الفرنسية على بعض المناطق الجزائرية الساحلية فقط. [1]

تعتبر معاهدة ديميشال أول انتصار ديبلوماسي للأمير، إذ اعترفت به كأمير للمؤمنين وهو تعبير لا يستعمله إلى الخلفاء ذوي السلطة الروحية والسياسية، وخلاصة القول أن هذه المعاهدة نصت على سيادة الأمير ومكانته الدولية، وأعطته وقتا لتنظيم إمارته داخليا، والقوة للقضاء على منافسيه المتمردين.[2]

بفضل هذه المعاهدة شاع السلم والأمان في جميع قطر الجزائر مدنه وريفه، وقال بعض المؤرخين: "**بلغ أمر بلاد الجزائر في الأمن إلى حالة: لو سارت البنت البكر الجميلة في صحاريها وقفارها، حاملة نفائس الجواهر على رأسها، لا تجد من يسألها، فضلا عمن يتعرض لها بسوء !! وتعطرت المحافل بذكر الأمير عبد القادر ورمقته عيون التعجب لما وصل إليه– مع حداثة سنه– من الأمر المدهش، الذي لم يكن مظنونا عند من يعرف أحوال بلاد الجزائر، وضغائن أهلها و عدم انتظام أمرهم**"،[3] واستطاع الأمير أن يحقق ذلك في خلال عشرين شهرا من يوم بيعته، وابتداء دولته. [4]

هذه هي النتائج الإيجابية المباشرة التي انعكست مباشرة على الإقليم الغربي من الجزائر بفضل الأمير عبد القادر، أما الفرنسيون عموما جاء رأيهم كما عبر عنه شارل أندري جوليان: "**إن الجنرال فوارول Voirol** [5]**لم يشترك مطلقا في المفاوضات التي أجراها دي ميشال، والحكومة**

---

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص126.

[2]- **نفسه**، ص127.

[3]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص219.

[4]- **نفسه**، ص220.

[5]- **فوارول تيوفيل**: ولد تافان (سويسرا) 1781 ، شارك في عدة حروب بإسبانيا و روسيا ، تقلد رتبة جنرال تولى القيادة العامة للجيش الفرنسي في الجزائر 29 أفريل 183 إلى غاية 27 جويلية 1834، احتلت في عهده بجاية وأرزيو ومستغانم، شن حربا ضروسا على المقاومة في متيجة خاصة قبيلة حجوط ، أقام مستوطنتين في القبة و دالي إبراهيم ، توفي عام 1853 .
أنظر : Narcisse, Faucon : **Op cit**, P569.

الفرنسية التي كانت تطالب باعتراف الأمير بسيادتها، ودفع الضريبة السنوية لها، وجدت نفسها أمام الأمر الواقع، ولكنها لا يبدو أنها تأثرت لذلك، وأما مجلس النواب والصحافة بمختلف اتجاهاتها فقد كانت على العموم محبذة للمعاهدة، والمؤكد أن الرأي العام الفرنسي كان راضيا عن هذا الحل الذي طمأنه كثيرا..". [1]

ب–مليانة مقاطعة من مقاطعات الأمير عبد القادر:

بتحقيق الأمير عبد القادر من خلال معاهدة دي ميشال لتلك النتائج الباهرة، أصبح سكان المدن الجزائرية وقراها يتمنون لو يفعل الأمير بإقليمهم ما فعل في إقليم الغرب الجزائري، لدى فإن سكان المدية ومليانة قد أرسلوا وفدا إلى عبد القادر بمعسكر أواخر نوفمبر 1834م راجيين منه أن يفعل في إقليمهم ما فعله في إقليم وهران،[2] وهذا يتوافق مع تفكير وتخطيط الأمير عبد القادر إلى المرحلة التالية، التي تقوم على تدعيم سلطانه، بل وتوسيع رقعة دولته،[3] وهذا حسب ما تنص عليه معاهدة دي ميشال التي لم تحدد حدود معينة للملكة الأمير، وأن هذه المملكة تشمل جميع الأراضي الجزائرية، التي لا تخضع للاحتلال الفرنسي، وما تعيين الأمير عبد القادر لوكيل له في مدينة الجزائر، والممثل في شخص اليهودي ابن دوران في مدينة الجزائر إلا دليلا واضحا على أن سلطة الأمير تمتد إلى غاية محيط مدينة الجزائر، وبالتالي إلى وسط وشرق وجنوب الجزائر.[4]

ب.أ–مراسلات الأمير عبدالقادر مع الحاكم العام الفرنسي دروي ديرلونDrouetD'erlon:

رغم أن المعاهدة الموقعة مع الفرنسيين لا تمنع الأمير عبد القادر من الوصول إلى إقليم التيطري، لأنها لم تحصره داخل أية حدود معينة، فرأى من الحكمة أنه لا يستجيب لهذا الطلب حتى يتمكن من معرفة موقف الفرنسيين، وخاصة أن الحكومة الفرنسية عينت الكونت دروي ديرلون Drouet

---

1- André Julien, **Op cit**, p104.

2- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص122.

3- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص63.

4- **نفسه**، ص56-57.

D'erlon[1] حاكما عاما للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا بتاريخ 27 جويلية 1834م، ووصل إلى الجزائر في 28 سبتمبر 1834م، ولذلك الغرض بعث برسالة تهنئة إلى الحاكم العام الجديد مع مبعوثه ابن عراش الميلود لمدينة الجزائر جاء فيها بكل وضوح: "..**إن القائد ميلود بن عراش سيفصل لكم الحديث عنا، لقد أعطيته التعليمات ليؤكد لكم أفضل الطرق لإقامة الهدوء في كل النواحي، سواء على الساحل أو في الداخل، على طول السواحل بين مدينة الجزائر ووهران، وفي السهول والجبال من تلمسان إلى معسكر، وحتى إلى المدية وملیانة**".[2]

لقد تم استقبال ابن عراش من طرف الكونت ديرلون بحفاوة، وبعث برسالة إلى الأمير عبد القادر جاء فيها بعد التحيات: "**لك أن تعتقد بأنك لا تقاوم في كل أرض تقصد الاستيلاء عليها، شرط أن تكون لديك قوة على أخذها**"،[3] وبذلك جاء جواب ديرلون على الأمير عبد القادر غامضا وعاما، وكان كله قد لف في عبارات غير واضحة، وبسبب ذلك الغموض اعتقد الأمير عبد القادر أن الفرنسيين لن يعارضوه إن قرر تنفيذ ذلك، فأرسل الوثيقة التي تحمل شروطه الخاصة، والتي وقعها دي ميشال وختمها سابقا، وقد تفاجأ ديرلون بهذه الوثيقة فأرسل تقريرا حولها إلى الحكومة الفرنسية، فاستدعت هذه الأخيرة دي ميشال في جانفي 1835م إلى باريس، وبعث الكونت ديرلون برد واضح حول الوثيقة التي بعثها له الأمير عبد القادر، وحول طموحات الأمير عبد القادر في التوجه شرقا فجاء فيه: "..**إنني أرجو أن تلاحظ أن الجنرال دي ميشال ليس له قوة أو سلطة شرعية خارج إقليم وهران، ولا يستطيع أبدا أن يبث في شأن أي جزء من الولاية** – الجزائر– **وحتى لو أعطينا أكثر التفسيرات تسامحا للمعاهدة التي بينك وبينه خلال شهر فيفري**

---

[1]– **ديرلون** : دروي كونت ديرلون(1765– 1844)، شارك في الحروب النابليونية ن تقلد رتبة جنرال، نفي من فرنسا في عهد لويس الثامن عشر ،أعاده شارل العاشر إلى الخدمة، أول حاكم عام في الجزائر، أول حاكم عام للمتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا جويلية 1834، عزل على إثر معركة المقطع. للتفصيل أكثر راجع بن يوسف تلمساني: **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830–1870**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004–2005، ص60.

[2]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص123.

[3]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص64.

1834م، فإنه لا حق لك فيما هو أبعد من إقليم وهران المحدودة بسلطة سيادة فرنسا"،[1] وأضاف: "**إن رأيي الخاص هو أن لا تجتاز الشلف الأسفل في اتجاه الشرق، فإذا حكمت الإقليم الذي هو الآن تحت يديك طبقا للقوانين الإسلامية، وبعدل صارم، فسنكون أصدقاء: ولكننا لن نسمح لك بدخول إقليم التيطري، فما يجري في هذا الإقليم هو من شأني، وإني لست في حالة حرب مع سكانه، وليس لي حاضرا مشاريع لإقامة منشآت في البليدة أو بوفاريك، ولكن إذا رأيت ذلك في المستقبل من أجل مصلحة فرنسا فإني لن أترك أحدا يقف في طريقي**".[2]

لقد تعجب الأمير عبد القادر من هذا الرد الفرنسي فبعث رسالة رد جاء فيها: " **قد وصلني تحريركم. وتعجبت مما ذكرتموه فيه ؟ ؟ ثم أقول: إن مرمى أفكار حضرتكم، بعيدة عن الإصابة لأن محافظتي على السلم، لا يجهلها أحد. ولولا ذلك. ما احتجت إلى مذاكرتكم، فيما أجريه في وطني، وقصارى الأمر، إنه لا يبعد أن يكون بعض أهل الفساد، ألقى في ذهن حضرتكم ما أوجب أن يكون جوابكم، على هذا الأسلوب. وعلى كل حال، فإني عدلت الآن، عن النهوض إلى 'التيطري' إبقاء للسلم ورعاية له ؟ ؟**".[3]

لقد جاء رد الأمير عبد القادر صارما وصريحا على استفزازات الجانب الفرنسي الممثل في الحاكم العام ديرلون، لكنه أضفى عليه طابعا دبلوماسيا، بسبب هدفه هو الحفاظ على السلام، وأمام هذا الوضع أجل الأمير عبد القادر استجابته لأهالي المدية وملیانة، حتى تحين الفرصة لذلك.

ب.ب–مبايعة أهالي ملیانة للأمير عبد القادر:

في أواخر مارس وبداية أفريل 1835م كان للأمير عبد القادر ما أراد، حيث أثار أبناء سيدي العربي تمردا جديدا ضد الأمير عبد القادر استجابة لدعوة مصطفى بن سماعيل، وشاعت الفوضى

---

[1]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص124.

[2]– **نفسه**، ص125.

[3]– محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص225.

والقلاقل بين قبائل فليتة في وادي شلف، فاستدعى ذلك حضور الأمير عبد القادر،[1] فجمع جيشه وبدأ المسير نحو الجهة الشرقية لوادي شلف، وحط الرحال بالقرب من واد الفضة،[2] وبالضبط العطاف عند بن شريف البغدادي، فسارعت القبائل الواحدة تلوى الأخرى، قبائل حجوطة، وموزاية، وسوماتة، وبني مناد، وبني مناصر،[3] وعلى رأسها الحاج محي الدين الصغير بن مبارك،[4] لتقدم للأمير مراسيم الولاء والطاعة، وقد جاءه شيوخها ومن ورائهم فرسانها وأعيانها، يحملون الهدايا الثمينة، وتحدوهم الإرادة التي لا تتزعزع، لخوض معركة التحرير تحت لواء الأمير الذي كان يستقبل كل واحد منهم بالبشاشة وبما يليق بمقامه من التشريف والتكريم. [5]

وقد جرى حوار طويل بين الأمير عبد القادر وحاج محي الدين الصغير بن مبارك جاء فيه:

-الأمير عبد القادر: أخي محي الدين لقد نصرني الله على الفرنسيين والقبائل التي رفضت الدخول تحت طاعتي، أما الآن فإن سلطتي تمتد على كل الغرب، أعلم أن عائلتك تهيمن على وسط البلاد (روحيا)، وتعبيرا عن صداقتي جلبت لك هدية تتمثل في ستة 06 بغال وتسعة 09 جمال وسيف من ذهب أهداه إلي سلطان المغرب.

-**الحاج محي الدين الصغير**: إن أنباء انتصاراتك وصلتني فجئت لاستقبالك، وتعبيرا عن الترحاب أهديك هذا اليطغان-سيف تركي- والمسدسين المرصعين بالذهب، وهذا الحصان إضافة إلى برانس من الصوف والحرير.

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص125.

[2]- مذكرات الأمير عبد القادر، **مصدر سابق**، ص152.

[3]-Ahmed Mebarek Ben Allel et Nicolas Chevassus-au-Louis : **La tête dans un sac de cuir**, Pr :Ahmed Djebar, Edition de Tell , Blida, 2011, p65-66.

[4]- **محي الدين الصغير بن مبارك**: شيخ زاوية القليعة، عينه الحاكم العام العسكري بريتيزين آغا عرب على أوطان متيجة في إطار سياسة التهدئة، وبمجيء دو روفيقو إلى الجزائر أصبح ملاحقا من قبل سلطات الاحتلال، فالتحق بالمقاومة الوطنية، وعينه الأمير عبد القادر خليفة على مليانة سنة 1835 وتوفي بها يوم 14 جويلية 1837. حول الموضوع ينظر **تاريخ الجزائر1830-1962**: قرص مضغوط، م.و.د.ب.ح.و.ث، د.ت.

[5]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص69.

–الأمير عبد القادر: إن الفرنسيين لا يحترمون المعاهدة التي وقعتها مع الجنرال دي ميشال، فقد هاجموا في جانفي 1835 قبائل حجوطة في متيجة، وجواسيسي يروا أنهم يتأهبون للحرب، علينا أن نتفق لتنسيق المقاومة في البلاد، أحاربهم في الغرب، في حين توجه لهم ضربات في الوسط.

–الحاج محي الدين الصغير: لكن المعاهدة الموقعة مع الفرنسيين لا تعترف لك بأي حق على هذه المنطقة من البلاد، فاستدار الأمير عبد القادر إلى مستشاره الدبلوماسي ميلود بن عراش يسأله: ماذا قال الجنرال الفرنسي في حالة عبور إلى الضفة الشرقية من وادي شلف.

–**رد إبن عراش**: إن ذلك هو بمثابة إعلان للحرب، ثم نظر الأمير عبد القادر إلى محي الدين الصغير سائلا: هل تريد أن تكون خليفتي وتمتد سلطتك على الوسط والتيطري؟

– **محي الدين**: ماذا تقصد بذلك أن أقوم بتسديد حق تولية المنصب لك مثل ما كان الأتراك يعملون به؟

– عبدالقادر: لا ليس هذا، نحن متساويان وأطلب منك أن تكون خليفتي، وتطبق على هذا الإقليم الأوامر والقوانين التي أفرضها على سلطنتي، وقبل بذلك محي الدين الصغير بن مبارك هذه المهمة. [1]

يلاحظ من هذا إن تواضع وحكمة الأمير عبد القادر كانتا سببا مباشرا في جلب الرجال إليه، وموافقتهم على المهام التي أسندها إليهم، وأصبح الحاج محي الدين بن مبارك خليفة للأمير عبد القادر على مقاطعة مليانة وعاصمتها مدينة مليانة من 1835م إلى غاية 1837م سنة وفاته.

وبينما الأمير عبد القادر ينزل أمام قنطرة شلف وصلته أنباء الحاج موسى الدرقاوي الذي استولى على مدينة المدية،[2] وفي 15 أفريل 1835م حل الأمير ومعسكره أمام أبواب مدينة مليانة، ثم دخلها بناء على طلب سكانها الذين كانوا يتلهفون لتقديم مراسيم الطاعة والولاء لخليفة المسلمين الأمير عبد القادر،[3] وقد اشترط عليهم معاملتهم كمواطنين في دولته، قصد التضحية من أجل الدين

---

[1]- Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p66-67.

[2]- **مذكرات الأمير..**، مصدر سابق، ص152.

[3]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص69.

والوقوف في صفوف قواته لمحاربة أعدائه،[1] ثم غادرها في يوم 20 أفريل 1835م، باتجاه الشرق نحو المدية التي كانت تخضع للحاج موسى الدرقاوي لتحريرها. [2]

وبذلك أصبحت مليانة مقاطعة من مقاطعات دولة الأمير عبد القادر، فحرص كل الحرص على تنظيمها سياسيا وإداريا وعسكريا، حيث ولى عليها خليفة من عائلة عريقة ومعروفة وهي عائلة ابن مبارك.

2-التنظيمات الإدارية والعسكرية:

أ-التنظيمات الإدارية:

بدأت دولة الأمير عبد القادر سنة 1832م بمقاطعتين هما تلمسان ومعسكر، ثم توسعت لتشمل مقاطعة مليانة،[3] ثم المدية سنة 1835م، لتبلغ أوج توسعها في سنة 1839 ثمانية 08 مقاطعات، وقسمت إلى:

- **مقاطعة تلمسان:** عاصمتها تلمسان، ومرفأها رشقون، وولى عليها محمد البوحميدي الولهاصي.
- **مقاطعة معسكر:** عاصمتها معسكر، ومرفأها أرزيو، و ولى عليها محمد بن أبي فريحة المهاجي، وبعد إستشهاده ولي عليها الحاج مصطفى التوهامي.
- **مقاطعة مليانة:** عاصمتها مليانة، ومرفأها شرشال،و ولى عليها الحاج محي الدين الصغير بن علال بن مبارك، ثم خلفه بعد وفاته ابن أخيه محمد بن علال بن مبارك.
- **مقاطعة التيطري:** عاصمتها المدية، و ولى عليها أخاه مصطفى بن محي الدين، ثم عزله وولي مكانه محمد البركاني. [4]

---

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص150.

[2]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص70.

[3]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص46.

[4]- محمد البركاني: هو محمد بن عيسى البركاني من عائلة البراكنة المرابطة، عينه كلوزيل سنة 1830 قايد على شرشال فقوبل بالرفض من سكان المدينة، وفي سنة 1834 انظم إلى الأمير عبد القادر وعينه خليفة على المدية سنة 1835.
راجع بالتفصيل Georges Yver : **Op.cit**, p153-154.

– **مقاطعة مجانة:** عاصمتها سطيف، وولى عليها محمد بن عبد السلام المقراني، ثم محمد الخروبي القلعي، ثم محمد بن عمر العيسوي.

– **مقاطعة جبال القبائل:** عاصمتها برج حمزة، وولى عليها أحمد بن سالم الدبيسي.

– **مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية:** عاصمتها بسكرة، ولي عليها فرحات بن سعيد، ثم الحسن بن عزوز، ثم محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحاج.

– **مقاطعة الصحراء الغربية:** عاصمتها الأغواط، وولى عليها قدور بن عبد الباقي. [1]

وقسمت كل مقاطعة بدورها إلى آغاليك– دوائر– وعلى رأس كل آغاليك آغا، وتتكون الدائرة من عدد من القبائل، وعلى رأس كلى قبيلة مهمة قائد يدير شؤونها العامة، والقبيلة بدورها تنقسم إلى عدة عروش ودواوير تخضع لسلطة الشيخ.

وهؤلاء جميعا هم موظفون في دولة الأمير على إختلاف مسؤولياتهم، فهم يتلقون المرتبات من الدولة مقابل الخدمات التي يقدمونها، فالخليفة يتقاضى أعلى المرتبات وهو 110 دورو –حوالي 550 فرنك شهريا– مضافا إليها صاعا –160 لتر– من الشعير يوميا، وأما الآغا والقايد فهما لا يتقاضيان مرتبات ثابتة، بل مكافاءات تمثل نسبة 10% مما يجمعه كل واحد منهم من الزكاة والضرائب. [2]

ويسير شؤون المقاطعة في دولة الأمير خليفة يعينه بنفسه ويضع تحت إمرته وحدات من الجيش النظامي من فرسان ومشاة، وحكمه غير محدد بفترة زمنية محددة، ويساعده في تسيير شؤون المقاطعة مجلس شورى محلي له صلاحية جباية الضرائب والحفاظ على الأمن العام، ويعين خليفة الأمير الآغا حاكم الآغاليك لمدة سنة أو أكثر، وللآغا صلاحيات منها تعيين القائد على القبيلة لمدة سنة كذلك، أما الشيخ فإنه ينتخب من قبل رجال العروش والدواوير، ومهمته الأساسية هي حفظ الأمن والنظام في حدود نطاق عرشه. [3]

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص306-307.

[2]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص220.

[3]– بن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص424.

وأما المدن والتي تكون في أغلب الأحيان عواصم المقاطعات كان الأمير عبد القادر هو الذي يعين حكامها، وتتم مراسيم تعيينهم بمحضر القاضي لتأدية اليمين القانونية، قبل أن يضع عليهم البرنوس التقليدي الذي هو رمز الحكم. [1]

وتعد مليانة أوسع وأغنى مقاطعات دولة الأمير عبد القادر، وقد خضعت لنفس التنظيمات الإدارية المطبقة في جميع المقاطعات.[2]

أ.أ– خلفاء الأمير عبد القادر على مليانة:

كان أول خليفة للأمير هو الحاج محي الدين الصغير بن علال بن مبارك القليعي بين أفريل 1835 م و14 جويلية 1837م، وبعد وفاته ولى الأمير عليها إبن أخ الخليفة الأول محمد بن علال من 19 جويلية 1837 م إلى نوفمبر 1843م، كما شغل منصب حاكم مدينة مليانة سيدي الحاج المليانى من العائلة الخادمة لولي مليانة سيدي أحمد بن يوسف،[3] وكان مقر الخلافة عبارة عن قصر صغير شيده الأتراك، ويقع بالمحاذاة البوابة الجنوبية لمدينة مليانة. [4]

أ.ب– حدودها الإدارية:

مدينة مليانة هي المقر الإداري للمقاطعة، يحدها من الغرب تاشتة وبني راشد والعطاف، ومن الجنوب مطماطة، وعزيز، وبوعايس، وتخوم الصحراء، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق مقاطعة المدية ومرتفعات الأطلس، ونتيجة لإتساع هذه المقاطعة وبهدف تسهيل إدارتها قسمت إداريا إلى خمسة آغاليك هي:

---

[1]–الكولونيل إسكوت: **مذكرات الكولونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، تر وتع: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص113.

[2]– Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p78.

[3]– Léon Roches : **Trente –Deux Ans Atravers l'Islam(1832–1864) Algérie–Abd–El–kader**, T, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1884, p91.

[4]– Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p79.

1- آغاليك حجوط.

2- آغاليك جندل.

3- آغاليك بني زقزق.

4- آغاليك البراز.

5- آغاليك أولاد عايد.

ويوجد على رأس كل آغاليك آغا وأسرة ذات نفوذ واسع.

أ.ج- التركيبة القبلية لكل آغاليك:

إن كل آغاليك تتكون من قبائل، والقبائل من أعراش وعلى رأس كل آغاليك آغا يحكمه، كما أنه يخضع لتأثير الأسر ذات النفوذ الواسع في الآغاليك نفسه.

1.3- آغاليك حجوطة: يحكمه الآغا الحبشي، ويتكون من:

-قبيلة حجوطة: وأعراشها هي زناخرة، حوش قايد السبت، أولاد حميدة، وسواحلية.

- قبيلة بني صالح: وأعراشها بني قرادو، والعمشاش، وفراش، وفرجونة، والمنشار.

- قبيلة سوماتة: وأعراشها بني محسن، وبني يزلط، وأهل التلك، وبني جمعة، وبني مويمن.

- قبيلة بني مناد: وأعراشها الجبابرة، وأهل الحمام، وبني مغريت، وأولاد وعلي، وأهل المرجة.

- قبيلة شنوة: وأعراشها البلجية، وأهل أوزاكو، وأهل الهيري، وبويجرة، وأهل قرنوش. [1]

2.3- آغاليك جندل: يحكمهم الآغا بوعلام بن شريفة، وعن الأسر المؤثرة فيه، فهي أسرة بن شريفة وأسرة الغبريني، ويتكون من:

- قبيلة جندل: وأعراشها أولاد لخضر بن جبار، وأولاد الحاجة بن ثابت، والحسانين، وأولاد بوعلام بن شريفة.[2]

---

[1]- بن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص430.

[2]- **بوعلام بن شريفة:** كان باش شاوش على أغاليك جندل في ظل دولة الأمير عبد القادر، وبسبب أطماعه انضم إلى الفرنسيين 1842م، وأصبح ضابطا في الجيش الفرنسي، وتقلد نيشان الشرف سنة 1845، ثم أصبح باش آغا على جندل في 1846، وقد شارك في حرب القرم 1854، وتوفي يوم 18 أكتوبر 1885. للمزيد حول ذلك يرجع إلى

Narcisse, Faucon : **Op cit**, P100.

– **قبيلة بني احمد.**

– **قبيلة العدلية.**

– **قبيلة العمورة.**

– **قبيلة أولاد سعايدة.**

–**قبيلة دوي حساين.**

– **قبيلة بني فاطم.**

– **قبيلة ريغة.**

– **قبيلة بوحلوان:** وأعراشها زمالة بني سعيد، وزمالة الغالي، وزمالة قدور بن عمرة.

– **قبيلة الهاشم.**

– **قبيلة دوي الحساني.**

– **قبيلة الواقع:** وأعراشها بني عمران، ودراع الهجر. [1]

3.3–آغاليك بني زقزق: يحكمه الآغا الحاج برابح، أما أهم الأسر المؤثرة فيه هي أسرة الحاج برابح، وأسرة جلول بن حمودة، وأسرة سيد أحمد بن محمد، وأسرة بلقاسم بلمختار، وأسرة طاهر بن زقاح، وأسرة سيدي عبد القادر بن جلول، ومن بني راشد نجد أسرة ابن الطيب بن جلول، وأسرة سي موسى الأكحل، وأسرة سي اسماعيل بلقاسم، وتنتمي هذه الأسر كلها إلى قبيلة زقزق لدا سمي الآغاليك باسم آغاليك زقزق، ويتكون من:

– **قبيلة بني زقزق:** وأعراشها أولاد بلقاسم بن ميرة، القهامين، أهل تافشتة، أولاد عبو، أولاد بن بقرطة، الوارقرة جبل، الفرارشة، الفغارلية، البايحي، الوارقرة الشلف، الكرابش، الجبابرة، الزحاحفة، العرايبة، المواهبة.

– **قبيلة بياضة.**

– **قبيلة بني رضوان.**

[1]– بن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص432.

– **قبيلة بنو راشد.**

– **قبيلة كبازة:** وأعراشها أولاد كسوب، وكبازة القبلة.

– **قبيلة الحراوط:** وأعراشها الشراقة، والغرابة.

– **قبيلة مطماطة.**

– **قبيلة بلال.** [1]

4.3–آغاليك البراز: وأهم الأسر المؤثرة فيه هي:

– أسرة سيدي علي ملوك من قبيلة البراز، وأسرة سيدي الحاج بن علي من قبيلة أعريب.

– أسرة سيدي مسلم من قبيلة أعريب، يتكون من:

– **قبيلة البراز:** وأعراشها زمالة سي علي ملوك، وبني بوكنين، وصاحب القرقورة، وأهل المطارقة.

– **قبيلة العطاف:** وأعراشها زمالة البغدادي، وزمالة محمد بن يحيى، وأولاد سيدي يحيى، والمجانية، وأولاد سيدي بلعربي، والعابد، وأصحاب التمالقة، والشلالحة، والعاكسية، وزمالة سيدي بن حليمة، وزمالة الحاج المليانى، وزمالة الحاج علي، وزمالة إبراهيم.

– **قبيلة بني قميران:** وأعراشها أولاد داود، وأهل بوقبان.

– **قبيلة بني فراح.**

– **قبيلة بني سليمان.**

– **قبيلة أعريب:** وأعراشها أولاد سيدي مسلم، وأولاد سيدي يوسف، وزمالة الحاج بن علي.

– **قبيلة بني بومليك.**

– **قبيلة زيتمة.**

– **قبيلة تاشتة.**[2]

---

[1]– **نفسه**، ص 433–434.

[2]– **نفسه**، ص 435.

5.3–آغاليك أولاد عياد: يحكمه الآغا جلول بن فرحات، أما أهم الأسر المؤثرة فيه التي تنتمي إلى عرش الدهاليس، وأولاد بن حمود من قبيلة أولاد عياد، وعرش أولاد سيدي سعيد من قبيلة بوعايش، ويتكون من:

- **قبيلة أولاد عياد:** وأعراشها جلول فرحات، وزمالة الدهاليز، وزمالة بن دحمان.
- **قبيلة أولاد بسام.**
- **قبيلة أولاد بلال.**
- **قبيلة عزيز.**
- **قبيلة السيوف.**
- **قبيلة أولاد مريم.**
- **قبيلة الكزازة.**
- **قبيلة بني حيان.**
- **قبيلة بن شعيب.**
- **قبيلة بوعايش.**
- **قبيلة أولاد هلال.**
- **قبيلة الزناخرة أو الزنافرة.** [1]

من خلال هذا تبين لي أن مقاطعة مليانة باتساع مساحتها وتنوع مظاهر سطحها من سهول وجبال وبحر، تتنوع فيها بالضرورة الثروات الطبيعية، كما أنها تعد خزان بشري هائل سيكون أساس تكوين جيش المقاطعة.

ب–التنظيمات العسكرية:

لقد أعطى الأمير عبد القادر الأولوية لشؤونه العسكرية والهدف منها تكوين جيش،[2] وتألف

---

[1]– **نفسه**، ص 436.

[2]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص72.

هذا الجيش من نوعين:

1-الجيش النظامي.

2-الجيش المساعد أو غير النظامي. [1]

أما الجيش النظامي فقد بذل الأمير من أجله أقصى الجهود، وأنفق عليه أموالا طائلة، فأصبح يتشكل من 08 آلاف من المشاة و20 ألف من الفرسان، و240 طبجيا، و20 قطعة من المدافع الجبلية، وعدد مهم من المدافع مختلفة الأنواع، وهذا الجيش موزع في أوقات السلم بين المقاطعات الثمانية، على أساس 1000 نفر من المشاة، و250 فارس، و30طبجي، وقطعتين أو ثلاث قطع من المدافع لكل مقاطعة،[2] وأما الجيش غير النظامي فهو يشكل القسم الأكبر من جيش المقاطعة، بحيث يتشكل من المتطوعين، وهذا بعد الإعلان عن النفير العام، بلغ عدد مقاتليه من مشاة وفرسان في 30 سبتمبر 1838 م حوالي 83 ألف مقاتل، وفي 18 نوفمبر 1839م بلغ 53ألف مقاتل، تجاوزت نسبة الفرسان فيه 70%.[3]

ب.أ-جيش مقاطعة مليانة:

نظم جيش المقاطعة على نفس منوال جيش الأمير عبد القادر، فهو يتكون من جيش نظامي، وجيش غير نظامي، وقد تشكل هذا الجيش في خلال أوج قوته سنة 1839 بقيادة محمد بن علال من جيش نظامي يتكون من 200 فارس نظامي و1200 من المشاة، وأما الجيش غير النظامي الذي يعتمد على ما تقدمه الآغاليك من متطوعين يتكون من 5 آلاف فارس، و4 آلاف من المشاة، إضافة إلى 40 طبجي. [4]

وتساهم كل الأغاليك في تكوين الجيش على النحو التالي:

---

[1]- **نفسه**، ص74.

[2]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص224-225.

[3]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص85.

[4]- **نفسه**، ص99.

–آغاليك حجوط: بزعامة سيدي يوسف ولد سيدي عيسي الحبشي، 440 فارسا و1500 بندقية.

–آغاليك جندل: بزعامة بوعلام بن شريفة، يقدم 915 فارسا و1500 بندقية.

– آغاليك زقزق: بزعامة الحاج بن رابح، يقدم 610 فارسا و2260 بندقية.

– آغاليك براز: بزعامة قدور بن شكير، يقدم 570 فارسا و2500 بندقية.

– آغاليك أولاد عياد: بزعامة جلول بن فرحات، يقدم 1180 فارسا و1040 بندقية.

وبالتالي فإن جيش مقاطعة مليانة يتكون من 3715 فارسا و 8350 محاربا مسلحا من المشاة.[1]

وقد خضع هذا الجيش إلى التنظيمات العسكرية التي وضعها الأمير عبد القادر، وتحتوي على قوانين الانضباط والرواتب وملابس الجند، والمراتب العسكرية. [2]

أما مصادر السلاح والذخيرة لجيش المقاطعة تمثلت في:

– البنادق التي تطوع بها المواطنون.

– غنائم المعارك.

– بنادق الجنود الفرنسيين الفارين.

–الإستيراد من المغرب، وتونس، وإسبانيا، وإنجلترا.

–مصنع الأسلحة بمليانة: [3] إضافة إلى ذلك عني الأمير بتنظيم صناعة لوازم الجيش وصيانتها،[4] فأسس في مليانة ورشات للخياطين لتفصيل وخياطة ملابس الجند والسروجية، لصنع السروج وصيانتها، وأهمها صيانة وإصلاح الأسلحة، وهذا يخص جيش مقاطعة مليانة. [5]

---

[1]– محفوظ قداش: "جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته"، **مجلة الثقافة**، ع.خ بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، 2009، ص59.

[2]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص191.

[3]– **نفسه**، ص87.

[4]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص225.

[5]– Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p79.

ب.ب–الحصون والقلاع وأبراج المراقبة ،معسكرات ،مصنع للأسلحة، والمناجم:

لم يكتفي الأمير عبد القادر وخليفته محمد بن علال بتنظيم الجيش، بل تعدى ذلك إلى بناء الحصون والقلاع وأبراج المراقبة والمعسكرات، ومصنعا للأسلحة، كلها عبارة عن مؤسسات عسكرية، كما حرص الأمير حرصا شديدا على استغلال الثروة المنجمية التي تزخر بها مقاطعة مليانة، للإستفادة من مواردها الطبيعية المعدنية في الصناعة الحربية. [1]

ب.ب.أ– برج المراقبة بزكار:

وهو برج مراقبة، يقع على قمة جبل زكار الذي يتجاوز ارتفاعه 1700م، ومن خلاله يمكن مراقبة كل المنطقة. [2]

ب.ب.ب– معسكر بوخرشوفة:

سمي ببوخرشوفة لأنه تنمو به كميات هائلة من نبات الخرشف البري،[3] ويقع هذا المعسكر على سهل منبسط يبعد فرسخين عن مليانة إلى الغرب، وبسبعة فراسخ عن جسر شلف شرقا، فهو ملائم للتخييم، إضافة إلى أنه يتوفر على كميات كبيرة من العلف والخشب، ولقد شهد هذا المعسكر انعقاد مؤتمرات واجتماعات وطنية حاسمة في تاريخ مقاومة الأمير عبد القادر ومليانة. [4]

ب.ب.ج– حصن تازة:

لقد أقام الأمير على حدود التل عدة حصون كلفته أموالا طائلة، رغم الصعوبات التي كان يواجهها، ومن بين هذه الحصون حصن تازة. [5]

بناه الأمير عبد القادر قرب ثنية الأحد، جهة أولاد عياد وبلاد بلال،[6] وهذا ما أكده ليون روش في كتابه:" **ترك الأمير عبد القادر المدية متجها إلى سهل شلف، ومن هناك إلى جبال**

---

[1]–الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص129.

[2]– Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p79.

[3]– Léon Roches : **Op.cit**, p117.

[4]– Georges Yver : Op cit, p177.

[5]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص179.

[6]– **مذكرات الأمير..**، مصدر سابق، ص159.

مطماطة، أين سيقوم بوضع أسس حصن تازة" سنة 1839م،[1] ويقع هذا الحصن جنوب شرق مليانة على بعد 12 فرسخا أي حوالي 48 كلم، بين بوغار وثنية الأحد، وقد بني هذا الحصن على موقع استراتيجي، جبل حصين منحدر جنوب شرقي المدية، وعلى بعد يومين منها، يجري في سفحه نهران،[2] وجاء في تحفة الزائر بأن الأمير لما دخل تازة ورأى تشييدها في أقرب وقت، حمد الله، وأثنى عليه وقال ارتجالا:

الله أعلـــم إن هـــذا لم يكـن مني على الأمل الطويل دليلا

كـلا...وإن منيتـــــي لقريبـــة مني وأصبح في التراب جديلا

ورضى الإله هو المنى ليكون من بعدي انتفاع الخلق ثم طويلا

ثم أمر الأمير عبد القادر بكتابة هذه الأبيات على باب الحصن،[3] وضمت بلدة تازة قلعة محصنة، وطاحونة مائية، ونحو ثلاثين دارا حسب جورج إيفر، في حين يذهب بول أزان Paul Azan إن تازة عند إستيلاء الفرنسيين عليها كانت تتكون من نحو خمسين مسكنا حجري البناء، قشي السقف، وكانت لها شوارع واسعة، كما كانت تمر بها قناة مياه جارية تسير بها طاحونتان، وكانت القلعة مربعة الشكل وذات طابقين يأوي إليها الجنود النظاميون، تحرسها أربعة أبراج في جوانبها الأربعة، وتوجد بها ورشتين واحدة للدباغة والثانية لصناعة الجوخ، ويضيف دي لاكروا De la caroix : "**إن تازة كانت ذات أهمية قصوى للأمير عبد القادر لا لقلعتها الحصينة فحسب، بل لما تنطوي عليه من محلات تجارية، وأن الأمير كان يحبس فيها أسراه الفرنسيين منذ أن أصدر الأوامر بضمان حياتهم**".[4]

تعد تازة العاصمة الثانية لمقاطعة مليانة، ولهذا استضافت عائلة الأمير عبد القادر وعائلة خليفته محمد بن علال تحت حماية مصطفى بن عيسى أحد مرابطي جندل، وشهدت تازة اجتماعات هامة

---

[1]- Léon Roches : **Op.cit**, p273.

[2]- Georges Yver : **Op.cit**, p192.

[3]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، 313.

[4]- رشيد بورويبة: "القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر"، **مجلة الثقافة**، مرجع سابق، ص104.

عقدها الأمير عبد القادر مع حلفائه. [1]

ب.ب.د- مصنع الأسلحة بمليانة:

سمحت معاهدة تافنة للأمير عبد القادر بإعادة تنظيم أسس دولته، حيث أقام عدة منشآت عسكرية، منها مصنع الأسلحة الذي شيده سنة1839م، وقد استغرقت الأشغال به مدة8 أشهر،[2] وكان يدير المصنع عمال فرنسين الذين جلبهم ميلود بن عراش من فرنسا،[3] ويوجد بينهم صناع أسلحة وصهارين للحديد.[4]

وأهم هؤلاء العمال الفرنسين المهندس وخبير المعادن ألكيير دوكازAlquier de case، مدير مصهرة مليانة،[5] واللذي قدمه ليون روش للأمير عبد القادر سابقا،[6] بعد اعتناقه للإسلام وتَسمى باسم عبد القادر، وتوفي إثر إصابته بمرض الحمى –الكوليرا- سنة 1841م. [7]

1- موقعه ووصفه:

تقع المصهرة على الجانب الأيسر من الشعبة التي تحد المدينة من الشرق، والمبنى الرئيسي لهذا المصنع الذي يبلغ طوله 25 م وعرضه 8م، قد شيد بحجارة الدبش، وغطي سقفه بالقرميد، وفي واجهته التي تتراءى من طراز حديث ثلاثة أقواس موحدة النمط، كاملة العقد، وفي المبنى خمسة أفران عالية كتلانية الطراز، تغذيها قناة تعلو قواعدها إلى إرتفاع 6م، وتتلقى الماء من الينابيع الشرقية، وهذه المياه التي تخرج من خزان تحرك مطرقة مائية، وجدنا على مقربة منها بعض التصاميم الأولية للحِراب،

1- Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p80.

2- **مليانة ومعالمها التاريخية**، مطوية للديوان الوطني للتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية - متحف مصنع الأسلحة للأمير عبد القادر بمليانة-، وزارة الثقافة، د.ت.، ص1.

3- Alex. Bellemare : **Abd-El-Kader sa vie Politique et Militaire**, Librairie de L. Hachette et Cie, Pris, 1863, p228.

4- Georges Yver : **Op.cit**, p377.

5- **Ibidem**, p464.

6- Léon Roches : **Op.cit**, p370.

7- الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص86.

وفي الزاوية الشمالية الغربية منه مبنى آخر قليل الارتفاع ومساحته 30م^2، وهو يستخدم كورشة لصنع الخشب، وكانت هذه المصهرة تستخدم معدن الحديد الخام المستخرج من منجم زكار. [1]

2- أهمية موقع المصنع:

بني المصنع بالضاحية الشرقية خارج أسوار مدينة مليانة وذلك راجع لعدة معطيات:

-الموقع الاستراتيجي، حيث تشرف البناية من أعالي منحدرات جبل زكار على امتداد سهل شلف.

-وفرة المجاري المائية، المتمثلة في وديان العناصر، لتوليد الطاقة المائية وتحريك آليات المصنع.

-توفر الموارد الطبيعية الهامة وهي قريبة من المصنع، معدن الحديد منجم زكار، والخشب نتيجة لكثافة الغابات.

3- طريقة تشغيل المصنع:

كان المصنع يشتغل على طريقة الحدادة الكتلانية، التي يعتمد نظامها على صهر معدن الحديد في داخل أفران، تبلغ درجة حرارتها 1400 درجة مئوية، بفضل استعمال منفاخ مزود بنفير مائي لإفراغ الهواء وإضرام النار، فينصهر الحديد ثم يتم صقله بمطرقة ضخمة تحركها عجلة مائية موجودة خارج البناية على مصب الواد. [2]

4- منتوجات المصنع:

أنشأ الأمير عبد القادر في مدينة مليانة مصنعا للبنادق وآخر للبارود،[3] إضافة إلى مساند المدافع-حاملات المدافع-، وجرارات المدافع،[4] بل أكثر من ذلك حاول آلكيير دوكاز مدير المصنع صناعة الصواريخ، ولكن لسوء حظه لم يوفق في ذلك بسبب فشله في ضبط معادلاته الرياضية، وقد

1- Georges Yver : **Op.cit**, p464.

2- **مليانة ومعالمها التاريخية**، مرجع سابق، ص1.

3- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص184.

4- Georges Yver : **Op.cit**, p203.

كادت إحدى هذه الصواريخ التجريبية أن تقتل خليفة مليانة محمد بن علال وبعض مرافقيه،[1] وإضافة إلى قطع الأسلحة المذكورة سابقا، كان ينتج الرماح، وقد دام الإنتاج به لمدة 7 أشهر. [2]

ب.ب.هـ- المناجم:

إن الموارد الطبيعية المعدنية مهمة جدا للصناعة الحربية، لذا حرص الأمير عبد القادر على استكشاف الموارد الطبيعية التي تحتوي عليها أرض بلده،[3] وكانت مناجم ملح البارود والكبريت، والحديد، والنحاس محل عمل وبحث متواصل من قبل العمال الاختصاصيين الفرنسيين لاكتشافها ثم استغلالها،[4] وأهم تلك المناجم:

1- منجم زكار:

يعد أهم منجم لأنه يستخرج منه معدن الحديد الذي يدخل في صناعة الأسلحة، ولقد أشارت إليه جميع المصادر التاريخية، وقد ذكره روزي وكاريت في كتابهما: "نؤكد أن جبل زكار يحتوي على معدن النحاس ورخام أبيض وأكسيدات الكاربون للحديد".[5]

2- منجم الونشريس:

فتح الأمير عبد القادر منجما لاستخراج معدن الرصاص في جبال الونشريس جنوب شرق حصن تازة،[6] وهذا المنجم غني بمادة الرصاص، وهذا ما أكده أحد التقنيين في المعادن آلكيير دوكاز.[7]

3- منجم بلال:

ينتج هذا المنجم الكبريت ويقع على جبل يبعد يومين عن مدينة مليانة، وقد قام بالتجارب

---

[1]-الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص86.

[2]- **مليانة ومعالمها التاريخية**، مرجع سابق، ص2.

[3]- الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص85.

[4]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص185.

[5]- Rozet et Carette: **Op.cit**, P123.

[6]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص187.

[7]-الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص129.

الأولية لاستخراج مادة الكبريت منه أحد الفرنسيين الفارين من الجيش الفرنسي وهو الرقيب روبيرRobert من خفر السواحل، وقد زار هذا المنجم الأمير عبد القادر، وينتج هذا المنجم حوالي مائة رطل من الكبريت. [1]

كما أن مقاطعة مليانة تتوفر على موارد معدنية متنوعة منها معدن الفضة بالقرب من تازة، ومعدن النحاس على الطريق إلى مليانة. [2]

ب.ب.و– القلاع:

1– قلعة بلال:

وهي قلعة بنيت على جبل بلال الذي يبعد مسافة يومين من مليانة، وقام ببنائها خليفة مليانة محمد بن علال بأمر من الأمير، على أغلب الظن من أجل حراسة منجم الكبريت القريب منها.

2– قلعة شرشال:

أسست هذه القلعة بأمر من الأمير عبد القادر بهدف إيواء الحامية العسكرية، التي كانت موجودة بشرشال. [3]

ما يستنتج من كل ذلك، أن مقاطعة مليانة بفضل موقعها الإستراتيجي، وتنظيمها الإداري والعسكري، وقيادتها الكفأة ستلعب دورا هاما في المقاومة الوطنية والتصدي لسياسة التوسعية الفرنسية لأنها قاعدة أمامية لدولة الأمير، بحدودها المباشرة مع متيجة وضواحي مدينة الجزائر، مما سيؤهلها للعب دورا فاصلا في المقاومة بزعامة خليفة الأمير عبد القادر محمد بن علال بن مبارك.

3–المقاومة الوطنية بمليانة قبل1837م:

على غرار أهالي المدن الجزائرية،كان أهالي مليانة مصدومين من الأنباء التي وصلتهم، والتي تؤكد سقوط مدينة الجزائر في 5 جويلية 1830م، وإباحة دي بورمون المدينة لجنوده كمكافئة لهم، وهذا ما أكده لهم الوافدون الفارون منها.

1- Georges Yver : **Op.cit**, p202.

2-الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص129.

3- رشيد بورويبة: **مرجع سابق**، ص113.

أ–المقاومة بمليانة قبل مبايعة الأمير عبد القادر 15 أفريل 1835:

نتيجة احتلال مدينة الجزائر خرج كثير من الناس منها مهاجرين نحو أقاربهم أو نحو ما لديهم من الأحواش الريفية،[1] فخرجت الكثير من العائلات التي اتجهت من مدينة الجزائر إلى مدينة مليانة، خاصة إذا علمنا أن هذه الأخيرة كانت تحتوي على الكثير من الإقامات الثانوية للموظفين الأتراك من الحضر والكراغلة،[2] وغيرهم وبعض الشخصيات الدينية المعروفة، فأصبحت مليانة ملاذا للفارين من طغيان الاستعمار الفرنسي، فلجأ إليها قدور بن رويلة الذي سيصبح كاتب خليفة الأمير على مليانة، ثم كاتب الأمير عبد القادر ومستشاره،[3] وأصبح الناس يفكرون ويعملون من أجل التخلص من هذا الواقع الجديد الذي فرض عليهم، والغبن الذي لحق بهم،[4] وبذلك أصبحت مدينة مليانة بؤرة مقاومة منذ السنة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، مما دفع بالحاج السعدي بالتردد على ضريح الشيخ أحمد بن بوسيف الملياني حيث يجتمع الفقراء والطلبة والعامة بعيدا عن أعين الفرنسيين،[5] لتدارس الوضع والموقف الذي يجب اتخاذه تجاه الاستعمار، وفي 4 فيفري 1833م استطاع الأمير عبد القادر أن يحصل على تأييد واعتراف قبائل مليانة في البيعة العامة الثانية،[6] وعبر عن ذلك محمد عبد القادر الجزائري في كتابه تحفة الزائر: "**وممن حضر هذه البيعة وبايع، وسمع لها وتابع، من القبائل الشرقية والأحياء الغربية: الوزير المذكور وبنو عمه، وسائر العلماء والأعيان، من معسكر وقلعة هوارة وأحوازهما: كبني شقران، وبني غدرو، وسيجرارة، وقبائل غريس، وأحيائه وعمائره، وعشائره، وأعيان القبائل الشرقية، كالعطاف**.."،[7] وعلى أغلب الظن كان على رأس

---

[1]–أبوالقاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**...، مرجع سابق، ج1، ص26.

[2]– André Julien, **Op cit**, p05.

[3]– قدور بن رويلة: **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي الملياني**، تق وتح: محمد عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968، ص18.

[4]– أبوالقاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**...، مرجع سابق، ج1، ص27.

[5]– **نفسه**، ص124.

[6]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص96.

[7]– محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، 165.

أعيان العطاف، الشيخ بن شريف البغدادي الذي التقى عنده الأمير عبد القادر بمحي الدين الصغير بن مبارك،[1] وفي أوائل سنة 1834م امتد نفوذ الأمير عبد القادر إلى غاية مليانة بفضل سيدي علي الكلاتي –الخلاتي– الذي ينتمي إلى إحدى أقدم الأسر المليانية، والتي كانت خادمة للولي أحمد بن يوسف، وبفضل هذه المنزلة استطاع أن يفرض سيطرته على المدينة ويوجهها لخدمة مصالح الأمير عبد القادر، ويعد من أهم وأخلص رجال الأمير عبد القادر مما أهله أن يكون الوسيط في مراسلاته مع الحاكم الفرنسي فوارول، بل أكثر من ذلك كتب علي الخلادي إلى الحاكم الفرنسي فوارول يتحداه، أنّ ما فعله بقبيلة حجوط ليس من العدل، وإنما يرجع ذلك أساسا إلى الأمير عبد القادر، لأن قبيلة حجوط من رعايا السلطان عبد القادر، كما أنه حاول إيقاع الضغينة بين الحاكم العام الفرنسي قورال ودي ميشال وهذه هي الحرب. [2]

ومن دون شك أن كل ذلك مهد السبيل للأمير عبد القادر كي تصبح مليانة مقاطعة من مقاطعاته، وتصبح جزء لا يتجزء من المقاومة الوطنية.

ب– مقاومة مليانة كمقاطعة في دولة الأمير 1835– 1837:

ومن مليانة التي غادرها الأمير عبد القادر في 20 أفريل 1835م متجها شرقا نحو مدينة المدية، التي كانت خاضعة للحاج موسى الدرقاوي،[3] فأصله من مصر لأب اسمه علي فقده وأمه وهو صغير السن، فتكفل بتربيته الحسين الجندي الغزي الذي جنده في قوات محمد علي باشا والي مصر فيما بعد،[4] شارك في انقلاب عسكري ضد السلطة الحاكمة في مصر، وبفشل الانقلاب فر لاجئا إلى طرابلس الغرب بالضبط إلى زاوية الشيخ محمد– زفار– بن حمزة المدني، في مصراتة وهو مقدم الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وبعد أن أصبح من مريدي الطريقة بعث به في مهمة إلى المغرب الأقصى بين سنتي

---

[1]– Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p66.

[2] – Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T2, p172-173.

[3]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص70.

[4]–A.Berbrugger :" Elhadj Moussa, Ou L'Homme à l'âne et l'Emir Abd-El-Kader", **R.A**, V1, 1856, p45.

1827م-1828م، وعامين من بعد ذلك ألقى عليه الأتراك القبض في معسكر،[1] التي كان بها الباي حسن تحت طائل تهمة جاسوس في خدمة الفرنسيين، وبعد حبسه لثلاثة أيام قدم للباي الذي أمر بإطلاق سراحه لأنه كان يتحدث التركية، فأقام بمعسكر عشرون يوما بإحدى المقاهي مع الجنود الأتراك، ثم توجه إلى واحة الأغواط أين أصبح مؤذنا في مسجد إحدى قبائل هذه المدينة، وهي قبيلة الأحلاف،[2] وباحتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر تركوا انطباعا سيئا لدى الحاج موسى الدرقاوي، فبدأ يفكر في المقاومة وإعلان الجهاد ضد الفرنسيين،[3] ومع بداية ربيع سنة 1835م خرج حاج موسى من الصحراء متجها مع ألفين من أنصاره نحو المدية فارضا في طريقه على القبائل التي تعاملت مع الفرنسيين غرامات مالية، كما أجبر سكان مدينة المدية على تسليمه المدينة، ثم توجه نحو مليانة لأنه كان يرى أن الأمير عبد القادر قد عطل الجهاد ضد الفرنسيين لأنه عقد معاهدة دي ميشال معهم لدى وجب محاربته،[4] فجمع أعيان حشوده وخطب فيهم ووعدهم بالنصر، وقال لهم: "**آية صدقه، أن مدفع ابن محي الدين لا يعمل فيهم، وأن باروده – عند المواجهة– يصير ماء**"، ثم كتب إلى الأمير يدعوه إلى الجهاد فأجابه: إن هذا غير ممكن الآن، لكوني عقدت معاهدة مع الفرنسيين، وأما أنت فإن كنت مستعدا لذلك، وعزمت عليه، فشأنك وما تريد، فلما اطلع على هذا الجواب، كتب إليه يدعوه إلى بيعته، فأجابه: إنني مبايع من أهل الوطن "**فإن كانت بيدك أوامر سلطانية، فاظهرها حتى نراها، فإن وجدناك صادقا، نقدم لك الطاعة، امتثالا لأمر السلطنة العظمى، وإلا فالذي تراه أعظم مما تسمعه. !!**"، فلما بلغه هذا الجواب استشاط غيظا، ونهض من المدية في جموعه لقتاله،[5] واجتاز الأمير عبد القادر وادي الشلف وسار نحو المدية متبوعا بكل فرق فرسان

---

[1] -Louis Rinn: **Op.cit**, p 240.

[2]-A.Berbrugger :" **Elhadj Moussa**...", Op.cit, p46.

[3] -Louis Rinn: **Op.cit**, p240.

[4]- Rozet et Carette: **Op.cit**, P564.

[5]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، 227.

وهران، وبفرقتين من جيش المشاة النظاميين، وبأربع قطع من المدفعية،[1] وكان الحاج محيي الدين الصغير بن مبارك خليفة مليانة يقود مقدمة جيش الأمير عبد القادر. [2]

وفي 22 أفريل 1835م اشتبك الجيشان في معركة في مكان سمي حوش عمورة، وقد انتهت هذه المعركة التي واجه فيها جيش الأمير المنظم جموع حاج موسى الدرقاوي بهزيمة الدرقاويين وتشتيتهم في كل اتجاه، وقد كلفت العملية جيش الأمير عشرة من المشاة وعددا صغيرا من الفرسان، بينما قطعت 200 رأس من أنصار حاج موسى الدرقاوي، بعثوا بسبعين رأسا منها إلى معسكر،[3] أما حاج موسى الدرقاوي فقد فر نحو الصحراء،[4] واتبعه خليفة الأمير الحاج محي الدين الصغير حتى البرواقية، لكنه لم يتمكن منه،[5] في حين بعث الأمير حريم وابن حاج موسى الدرقاوي محمد إلى مليانة،[6] وجاء الطلب من حاج موسى الدرقاوي يطلب من الأمير عبد القادر،أن يرد له حريمه وأولاده، وذلك ما فعله الأمير وردهم إليه،[7] وتعد معركة عمورة قرب وامري أولى المعارك التي خاضتها مقاطعة مليانة تحت إمرة الأمير عبد القادر، وهي أول مشاركة فعلية مسلحة ستدفع بخليفة مليانة إلى القيام بكثير من العمليات العسكرية في إطار المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين وعملائهم من الجزائريين، وبفضل هذا الانتصار العسكري الباهر سيجني الأمير عبد القادر انتصارا سياسيا مهما وهو تعديل شروط معاهدة دي ميشال في 26 فيفري 1834م.

في نفس اليوم الذي دخل فيه الأمير عبد القادر إلى المدية تلقى الحاكم العام الفرنسي برقية من وزير الحربية الفرنسي تحتوي على تعليمات بأن يدخل في مفاوضات مع الأمير عبد القادر لعقد

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص125.

[2] - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T1, p258.

[3]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص70.

[4]-A.Berbrugger :" **Elhadj Moussa**...", Op.cit, p48.

[5] - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T1, p258.

[6]-A.Berbrugger :" **Elhadj Moussa**...", Op.cit, p48.

[7]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص228.

معاهدة جديدة،[1] ووصل مبعوثان لـ ديرلون، ابن دارن والضابط الفرنسي سانت هيبوليت Saint Hippolyte إلى المدية بعدما رحل عنها الأمير متجها إلى مليانة، وهناك استقبلهما بتاريخ 5 ماي 1835 بمحضر ميلود بن عراش الذي عرف عنه ميله إلى التفاوض لوضع أسس جديدة للتعامل مع الفرنسين، وفي بداية الأمر أظهر الأمير ما يدل على استعداده للاستماع إلى المقترحات التي يحملها مبعوثا ديرلون، ولكن محي الدين الصغير الذي كان من أنصار فكرة محاربة الفرنسيين بدون هوادة، ولا سيما بعد الانتصارات العسكرية والسياسية التي أحرزها الأمير، انظم إلى مجلس الأمير وأخذ يناشده بأن لا يرضخ لمطالب الفرنسيين ولا يقبل عروضهم. [2]

والتي تحتوي على شروط قاسية، غير أن الأمير لم يندهش لها بتعوده على سماعها أو النظر فيها مكتوبة منذ أن تم التوقيع على معاهددة دي ميشال، تلك المعاهدة التي كانت السلطات الفرنسية تعتبرها كلها لصالح النظام الجزائري الفتي، وقد حاولت مرات عديدة إيجاد مخرج منها وجعلها معاهدة بين سيد ومسود، وغالب ومغلوب، لكن عبد القادر على حداثة سنه وحداثته في المجالين السياسي والديبلوماسي، لم يتح تلك الفرصة للقيادات الفرنسية المختلفة.

إن الجنرال ديرلون رغم وضعه السيء، لم يختلف عن سابقيه، لقد طلب من الأمير خاصة أن يعترف بالسيادة الفرنسية على الجزائر، ويحصر سلطته في حدود بايلك الغرب الجزائري القديم فقط، ويتخلى عن إشرافه على ميناء أرزيو بحيث لا تكون المواصلات البحرية إلا بواسطة الموانئ التي بيد الفرنسيين، وأن يدفع أخيرا جزية سنوية تحدد فيما بعد، ويودع رهائن بشرية لدى دولة فرنسا لضمان تنفيذ ما تقدم.

وعندما اطلع الأمير عبد القادر على تلك الوثيقة، أدرك أن فرنسا تنوي التحلل من معاهدة دي ميشال،[3] وهذا ما سيعمل الفرنسيون على تحقيقه مستقبلا، ففي 16 جوان 1835 م بمخيم التينة،

---

[1]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص72.

[2]- **نفسه**، ص74.

[3]- محمد العربي الزبيري: **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص61-62.

أين وقع زعماء قبيلة الدوائر والزمالة مع الجنرال تريزيل Trezel [1]إتفاقية حماية، أهم ماجاء فيها حسب المادة الأولى أن القبيلتين يعترفان بسلطة ملك فرنسا، وأنهما يلجأن إليه لحمايتهما، أما المادة الثانية تنص على أن القبيلتين تجهز مقاتليها كلما استدعاها حاكم وهران للقيام بعمليات عسكرية،[2] ولما وصل الأمر إلى حد تأكد الأمير عبد القادر أن معاهدة دي ميشال قد انتهت، استدعى أهل العقد والحل وأعيان معسكر، وقادته العسكريين إلى الجامع وخطب فيهم قائلا: "..**أما بعد فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد: (يَاأَيُّها اللّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا اللَّذِينَ يَلُونَكُمَ مِّنَ الكُفَارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ)**،[3] **وقال أيضا: (وَقَاتِلُوهُم حَتَى لاَ تَكُونَ فِتْنَةُ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُهُ لِلَهِ)**،[4] **وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصدقناهم، فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم، فلا تلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة، وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة، وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم إليهم**.."، وأصدر الأمير أوامره لمختلف مقاطعاته بالتأهب للحرب،[5] فأعلن بدوره الحاج محي الدين الصغير خليفة مليانة الحرب على الفرنسيين، فأصدر أوامر بقتل المتعاونين من الجزائريين مع الفرنسين والهجوم على مراكزهم سواء كانت عسكرية أو المستوطنات، وفي جويلية 1835م عين الفرنسيون قائدا جديدا على وطن بني خليل المحادي لوطن السبت يدعى علي بن الخزناجي، وكان يخدم الفرنسين بوفاء وتفاني

---

[1]- **تريزال كاميل ألفونس**: ولد في 5 جانفي 1780، التحق بالجيش في 1801 ، قاد حملة على بجاية في 29 سبتمبر 1833 و أصيب بجروح، استخلف الجنرال ديميشال في وهران، تسبب في نقض معاهدة ديميشال 26 جوان 1835، وانهزم في معركة المقطع أمام قوات الأمير و عزل على إثرها، شارك في الحملة الأولى على قسنطينة نوفمبر 1836 وفي الحملة الثانية 1837 تولى حقيبة وزارة الدفاع في 9ماي 1847، توفي في باريس في 11 أفريل 1860. أنظر : Narcisse : **OP.cit**, P 553 .

[2]- Alex. Bellemare : **Op.cit**, p108-109.

[3]- **سورة التوبة**، الآية 123.

[4]- **سورة البقرة**، الآية 193.

[5]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص236.

خالصين،[1] فأمر الحاج محي الدين الصغير خليفة مليانة بإعدامه، مانحا قاتله قيمة مالية قدرت بـ 50دورو،[2] وفي 21 أوت 1835 تم اختطافه من قبل بعض المقاتلين من حجوطة وأعدموه بمكان يسمى 'عيون الشعر' جنوب غرب حوش بني خليل، [3] وبعد هزيمة معركة المقطع بتاريخ 28 جوان 1835م استدعت الحكومة الفرنسية الكونت ديرلون من الجزائر والذي رحل منها في 08 أوت، وعينت خلفا له كحاكم عام على الممتلكات الفرنسية بشمال إفريقيا الماريشال كلوزيل حيث وصل إلى مدينة الجزائر بتاريخ 10 أوت 1835م، والذي صرح عند وصوله: "..**أنه بعد شهرين، لا يكون هناك حجوطة**.."،[4] وهذا ما دفع بالمقاومة إلى التكثيف من مهاجمتها للعدو الفرنسي وهذا ما ستثبته الأحداث الآتية ذكرها، ففي 16 أكتوبر 1835م هاجم حاج محي الدين الصغير بوفاريك بجيش قوامه 6000 مقاتل، فتحرك كلوزيل يوم 17 أكتوبر في اتجاه جيش محي الدين الصغير وسار نحو وطن حجوطة غربا يوم 18 أكتوبر، فاصطدم ببعض فرسان المقاومة واستعمل لتفريقهم المدفعية، فانسحبوا نحو العفرون أين خيم خليفة مليانة، وفي نفس اليوم اشتبكت قوات المقاومة مع قوات العدو الفرنسي بوادي بورومي، ونتيجة للقوة النارية الفرنسيين تفادى الحاج محي الدين الصغير المواجهة المباشرة وانسحب نحو طريق مليانة،[5] وأما في يوم 21 أكتوبر 1835م قام فرسان المقاومة من قبائل حجوطة بمهاجمة مزرعة بابا علي وأحرقوها في حين كان كلوزيل يحتفل بانتصاراته الوهمية التي قادها ضد المقاومة في وطن حجوطة،[6] وفي 30 نوفمبر هاجم حاج محي الدين الصغير على رأس 600 فارس من رجال المقاومة 300 منهم هاجموا الدويرة واشتبكوا مع فرقة من قناصة إفريقيا وبعض فرسان

---

[1] - C. Trumelet : **Bou-Farik**, Ed2, Adolphe Jourdan, Librairie- Éditeur, Alger, 1887, p98.

[2]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص41-42.

[3] -C. Trumelet : Op.cit, p99.

[4] - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T3, p1-2.

[5] -C. Trumelet : **Op.cit**, p103-104.

[6] - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T3, p12.

من الصبايحية، كما استولوا على قطيع وانسحبوا، و في نفس الوقت توجه نفس الفرسان إلى مهاجمة أولاد منديل أين خيمت به فرقتين فرنسيتين ثم انسحبوا. [1]

وقد واصل رجال المقاومة محاصرة الفرنسيين في مراكزهم ومهاجمة فرقهم العسكرية التي تحاول القيام بمهمات خارج أسوار مراكزها ففي 1 مارس 1836م خرج الجنرال راباتيل Rapatel في مهمة استطلاعية على رأس كتيبتين من المشاة والفرقة الأولى لقناصة إفريقيا والفرقة الثانية للصبايحية النظاميين مدعومة بقطع من المدفعية، وفي ليلة 1 و2 مارس هاجم 150 مقاوم من فرسان حجوطة الجيش الفرنسي بالقرب من وادي الشفة، فقتل قناصين وجرح خمسة من بينهم ضابط للفرنسيين، أما فرسان المقاومة قتل منهم 8 رجال،[2] وفي أواخر أفريل 1836م قام رجال المقاومة من حجوط بخطف رجلين وإمرأة واحدة من الفرنسيين، وبعث بواحد يدعى موريس Meurice إلى الأمير والثاني تم تبادله مع أحد أسرى المقاومين، أما المرأة فقد قتلت نتيجة خلاف نشب بين المقاتلين،[3] وأما المدية والتي عين عليها كلوزيل حاكما جديدا تحت الوصاية الفرنسية يدعى محمد بن الحسين في أوائل أفريل 1836م إثر حملته العسكرية عليها، فقد كتب هذا الأخير لمساعدته بالمال، فرد عليه كلوزيل بأن ليس لديه أموال وأنه يجب عليه أن يتدبرها بفرض الضرائب على سكان مقاطعته فوصل رد كلوزيل إلى يدي الحاج محي الدين الصغير خليفة مليانة، ونسخ الرد الفرنسي إلى عدة نسخ، وبعث بها إلى قبائل مقاطعته كاشفا نوايا الفرنسيين، فاجتمع له في ماي 1836م كل من قبائل سوماتة، وموزاية، وبني زقزق، وجندل، وريغة، ووزرة تحت رايته، وسار محمد بن عيسى البركاني نحو المدية، حينها قام جماعة من سكان الحضر من استيلاء على إحدى بوابات المدينة وفتحوها لقوات الحاج محي الدين الصغير، الذي دخل المدية واعتقل حاكمها محمد بن الحسين وأرسله إلى الأمير عبد القادر، وهكذا عادت المدية كمقاطعة من مقاطعات الأمير عبد القادر من جديد.[4]

---

1 -C. Trumelet : **Op.cit**, p105.

2 - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T3, p79-80.

3 -C. Trumelet : **Op.cit**, p112.

4 - Pellissier de Reynaud : **Op.cit**, T3, p114-115.

وعلق العقيد دي لامورسيير De lamoricière لاحقا في ديسمبر 1836م قائلا: "..**هل تتصورون إهانة لفرنسا أبشع من أسر باينا بالمدية..**"، [1] فشهد شهر جوان 1836م عدة معارك بين رجال المقاومة والفرنسيين، فهاجموا ضواحي مدينة بوفاريك ومراد ويوم 10 جوان هاجموا مستوطنين دالي ابراهيم ويوم 16 استولوا على قطيع في الدويرة، بعدها ببضعة أيام وصلوا إلى بوزريعة وبوانت بيسكاد Pointe Piscade،[2] وفي 6 سبتمبر 1836م اشتبك المقاومون مع قوات الجنرال بروسارBrossard، واستمرت المقاومة في استنزاف ومضايقة الفرنسيين حتى في مراكزهم القريبة من مدينة الجزائر نفسها، واستغل حاج محي الدين الصغير بن مبارك نقص في تعداد الجيش الفرنسي الدى توجه جزء منه إلى حملة قسنطينة، فأمر ابن أخيه محمد بن علال شن هجوم على مركز أولاد يعيش وتوجه إلى وطن حجوط يوم 8 نوفمبر 1836م بجيش يتكون من المشاة ومدفعين، لكن مدفعيته لم تحقق ما كان يصبوا إليه، فأعادهما تحت حراسة مشاته إلى مليانة، وفي 9 نوفمبر التقى جيش محمد بن علال في نواحي قرواو بجيش الصبايحية النظاميين الذي خرج في مهمة استطلاعية بأمر من الجنرال بروسار، وبعد اشتباك الطرفين انسحب فرسان الصبايحية من المعركة مخلفين وراءهم 17 قتيل من بينهم 3 ضباط،[3]وفي يوم 10 نوفمبر قام المقاومون بقيادة محمد بن علال بإضرام النار في كثير من المزارع التي تقع بين مراكز المراقبة الفرنسية،[4] وبقي الوضع على حاله إلى غاية أوائل جوان من 1837م حين كان خليفة الأمير عبد القادر حاج محي الدين الصغير يجوب بجيشه سهول متيجة من العفرون إلى هضاب شنوة، مهددا مدينة القليعة وسائر الساحل.[5]

---

[1]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص42.

[2] -C. Trumelet : **Op.cit**, p112-113 .

[3] -**Ibidem**, p118.

[4] -**Ibidem**, p119.

[5]- حاج صادق: **مرجع سابق**، ص42.

ج– شخصية محمد بن علال:

ملأ عبد القادر كل المناصب الهامة برجال نبلاء، بالميلاد تقديرا منه للنتائج المثمرة التي تعطيها النظرة الصحيحة للتكوين الطبيعي للمجتمع، واعتبارا منه لتكريم العرب الغريزي للنسب والدم، ولكن أولئك الرجال الذين وقع عليهم الاختيار كانوا في نفس الوقت يمتازون بالشخصية القوية والسمعة النظيفة، أي كانوا أمثلة تحتدى وحكاما يطاعون،[1] ومن بين هؤلاء الرجال محمد بن علال بن مبارك، ولد محمد بن علال سنة 1814م،[2] أعور منذ طفولته نتيجة حادث وقع له أثناء مبارزته لابن عمه علي بن لكحل بالعصي، وعلى إثر ذلك قرر عمه محي الدين الصغير أن يضمه إليه عندما يستقبل الضيوف فاستطاع محمد بن علال أن يؤثر في عمه بسبب شجاعته النادرة، بحيث لم يشتكي أبدا رغم أن عينه كانت تسيل بخليط من الدم والقيح لعدة أسابيع، هذا الصبر والشجاعة أهلته أن يكون قائدا في المستقبل.

ولكي يتحقق له ذلك يجب أن يتعلم كيفية التحكم في نفسه وتنمية ذكائه وقوته، فتكفل حاج محي الدين الصغير بتعليمه ذلك لهذا كان يجلسه في مجالسه ليتعلم ويلاحظ كيف يتعامل عمه مع الضعفاء بكل تواضع ودون ازدراء وغرور واحتقار، وكان محي الدين الصغير متواضعا يدعوا ويجتمع على مائدته الضعفاء والأقوياء، وكان يتلقى كثير من الهدايا ولكنه كان يعطي أكثر، إضافة إلى تواضعه وكرمه كان له إحساس عميق بوجوب تحقيق العدالة، وأن كل الناس متساوين أمامها، ومما زاد من هيبته ثقافته الواسعة وعلاقاته بالمثقفين في عهده، هذا ما أثر تأثيرا مباشرا على بناء شخصية محمد بن علال مستقبلا. [3]

ووصفه ليون روش قائلا: "..**إنه ذو قامة متوسطة بدين نوعا ما أعور بسبب حادثة وقعت له في طفولته، سحنته بيضاء ملونة، على الأكثر سنه يبلغ 26 سنة، فهو يتمتع بشجاعة**

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص204.

[2]- Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p197.

[3]- **Ibidem**, p35-36.

كبيرة.."،[1] ويعد من أهم الأسماء اللامعة في إدارة الأمير مع مصطفى بن التهامي ومحمد الولهاصي والبركاني، ولكل من هؤلاء الأسماء مزاجه وخصائصه في الحكم، ولكنهم جميعا يتصرفون في معظم الأحيان طبقا لأوامر الأمير، والملاحظ أن هؤلاء الأربعة كانوا من عائلات دينية ومتميزة بالثروة، كما كانوا من المثقفين، وكان بعضهم يجتهد رأيه حتى أن محمد بن علال رفض تسليم مدينتي البليدة والقليعة إلى الفرنسيين طبقا لمعاهدة التافنة،[2] وكانت مكانة محمد بن علال عند الأمير عظيمة، وكلمته مسموعة، وهذا ما اتضح في قضية ابن عودة قائد شرشال، والذي لولا صداقته مع بن علال لكان مصيره الموت بأمر من الأمير عبد القادر. [3]

وقد كان وفيا طائعا للأمير عبد القادر يكره الخيانة فخورا عزيز النفس، فقد كلفت الحكومة الفرنسية نيكولا مانوتشي بمهمة سرية، وهي أن يحمل خلفاء الأمير على الانفصال عنه، ويعرض على كل خليفة اعتراف الفرنسيين باستقلاله في ولايته إذا خرج على الأمير، على أن الرجل لم يحاول قط القيام بهذه المهمة حيث كان مقتنعا بأن أول خليفة يعرض عليه هذه الفكرة سيطيح برأسه، فإن جميع خلفاء الأمير يدينون له بالولاء والطاعة خاصة خليفته على مليانة،[4] وقد حرص بوجو Bugeaud كل الحرص على تحقيق هذا الهدف، وهذا ما سيدفعه إلى عرض على محمد بن علال خليفة الأمير الأكثر قوة ودهاء في أواخر فيفري 1842م فكرة الانفصال عن الأمير عبد القادر فتعيد له فرنسا مقابل ذلك أملاكه، وتخصص له معاشا سنويا كبيرا.[5]

وأكد ذلك شانغارنيه Changarnier فقال: "..في أواخر شهر فيفري 1842 عرض الحاكم العام بوجو على سيدي محمد بن علال بن مبارك وهو أكثر أعوان الأمير دهاء وقوة، عرض عليه مبلغ 500 ألف فرنك، وإعادة أملاكه الواسعة إليه، ومعاشا سنويا قدره 50 ألف فرنك، على

---

[1]-Léon Roches : **Op.cit**, p157.

[2]- أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**...، مرجع سابق، ج1، ص197-198.

[3]- **نفسه**، ص131-132.

[4]-الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص119.

[5]- مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، م.و.ك، الجزائر، 1983، ص124-125.

شرط أن يخضع لسلطة فرنسا ويقيم بمدينة الجزائر أو القليعة مسقط رأس عائلته العتيقة ذات الجاه والنفوذ، وقد وصلنا جواب هذا الخصم الأنوف في 12 مارس حينما كنا نستعد للقيام بنزهة طويلة في غابات البرتقال الجميلة المحيطة بالبليدة، وطلبنا من الترجمان أن يعيد قراءته على مسامعنا مرتين، فارتسم القسم الأول من جوابه في ذاكرتي، وهذا قوله:" **ليكن في علمك أنني أحكم وأقاتل وأعفوا ضمن منطقة تمتد من جبل دخلة إلى وادي الفضة، وماذا أراك تعرض علي مقابل هذا الحكم الذي أمارسه لإعلاء كلمة الله، وفي خدمة سيدي السلطان عبد القادر، فإني أراك تعرض علي أملاكي التي سوف أستعيدها بالبارود مثلما فقدتها بالبارود، وتعرض علي المال والخيانة..**". [1]

هذه هي الصفات الجامعة فالرجال الحقيقيون كمحمد بن علال لديهم قابلية للتضحية من أجل القضايا العادلة.

[1]- Changarnier , Fontenay : **Mémoires du Général Changarnier** ,**Campagnes D'Afrique1830– 1848**, Edition Berger- levrault , Paris, 1930, p219.

الفصل الثالث

إحتلال مدينة مليانة ونهاية **المقاومة** الوطنية بها 1840

1 - معاهدة التافنة وإحلال السلام30 ماي 1837.

2- نقض معاهدة التافنة وعودة الحرب.

3-اعتماد فرنسا سياسة التوسع واحتلال مدينة مليانة جوان1840.

1-معاهدة التافنة وإحلال السلام 30 ماي1837:

أدت هزيمة تريزيل حاكم وهران السابق أمام قوات المقاومة الوطنية في معركة المقطع 27 جوان 1835 إلى تعويضه بلاموريسيير وتعويض حاكم عام الجزائر ديرلون بكلوزيل،[1] وعندما حل كلوزيل للمرة الثانية حاكما عاما على الجزائر -10أوت1835-13جانفي1837- جاء وفي رأسه مشاريع كثيرة للإستعمار والغزو، وكان يريد إسكات خصومه في بلاده بإحراز انتصار عسكري في الجزائر فهاجم الأمير في معسكر وتلمسان سنة 1836[2] حتى يغسل عار هزيمة المقطع ويظهر قوة الاستعمار التي فشل ديرلون في إظهارها،[3] فانتصاراته الوهمية التي حققها في معسكر في 6-12-1835 وتلمسان في 15 جانفي 1836، وهزيمة قائده دارلانج في معسكر تافنا، جعلته يقتنع بأن الوقت قد حان ليحقق انتصاره العسكري الذي جاء للجزائر من أجله، وهذا بالقيام بعملية عسكرية واسعة النطاق، هدفها احتلال مدينة قسنطينة-نوفمبر1836-، دون أمر أو إذن من الحكومة الفرنسية بل بدون أية مشاورات مع رؤسائه، متجاوزا بذلك سلطته والحدود التي رسمتها له حكومته،[4] إلا أن هذه الحملة باءت بالفشل الذريع بعد أن استطاعت قوات المقاومة بزعامة علي بن عيسى وبعد قتال شديد من إلحاق هزيمة نكراء بالقوات الفرنسية في 15 نوفمبر 1835 التي انسحبت مخلفتا وراءها خسائر كبيرة في العدد والعدة، ولما بلغ الحكومة الفرنسية خبر هزيمة قسنطينة عزلت كلوزيل.[5]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ج1، ص176-177.

[2]- **نفسه**، ص159.

[3]- **نفسه**، ص177.

[4]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص139.

[5]- محمد عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص262-263.

أ–الظروف العامة لعقد المعاهدة:

أ–أ بالنسبة للأمير عبدالقادر والمقاومة الوطنية:

كانت سنة 1836 سنة هامة في تاريخ المقاومة الجزائرية وهي سنة اختبار لإرادة الأمير عبد القادر نفسه، فاحتلال عاصمته معسكر وتلمسان، قد أضر بسمعته العسكرية بين مواطنيه، لا سيما أهل القبائل المخزنية التي لم تخضع له إلا بالقوة وإلحاح دعوة الجهاد،[1] فتفرقت عنه حشود القبائل وعاد معظم المقاتلين إلى أوطانهم، كما سرت روح التشاؤم والهزيمة في صفوف جيشه النظامي بعدما رؤوا مصير الكثيرين من زملائهم في معركة السكاك في 6 أوت 1836، وتفرقوا في كل اتجاه، فوجد الأمير نفسه وحيدا يهيم في الحقول، ولم يجد معه من الزاد إلا حبات من التين قدمتها إليه عجوز لم تكن تعرف من يكون، ولكن عزيمته وإيمانه بعدالة قضية وطنه لم تزعزعها هذه الأحداث، فتوجه إلى ندرومة ومن هناك وجه الرسائل إلى المدن والأرياف لينادوا بالجهاد، وليحثوا على الاستعداد لملاقاة العدو من جديد ومنها عاد إلى العين الكبيرة وبالضبط إلى معسكره في وادي مقرة أين أمر خليفته مصطفى بن التهامي استئناف حصار الحامية الفرنسية في تلمسان التي كانت تحت سلطة النقيب كافينياك.[2]

أ.ب– بالنسبة للاستعمار الفرنسي:

لما بلغ الأمير عبد القادر خبر انهزام الحاكم العام لفرنسيس كلوزيل أمام أسوار مدينة قسنطينة نوفمبر 1836، فاستغل الأمير ذلك، وفي أوائل ديسمبر 1836 أمر خليفته مصطفى بن التهامي والبوحميدي بجيش متكون من قبيلتي الغرابة وبني عامر بمهاجمة مدينة وهران وضواحيها وتشديد الحصار عليها، فاكتسحوا أراضيها وأحرقوا مزارعها واستولوا على ماشيتها وأحاطوا بأسوار المدينة نفسها وضربوا حولها حصارا منعوا به إمدادات العرب عنها فأصبحت محاصرة من جميع نواحيها البرية، نفس الأمر وصل لخليفة مليانة محمد بن علال، حيث قام بهجوم واسع على متيجة وضواحي مدينة الجزائر، فأحرق مزارع الكولون وهاجم مراكز الفرنسيين وحاميتهم وقتل الكثير من الفرنسيين

[1]– أبوالقاسم سعد الله : **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ج1، ص178.

[2]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص138.

وأسر منهم حتى أصبح على مرمى حجر من أسوار مدينة الجزائر نفسها التي ضيق عليها الحصار،[1] ونتيجة هذه العمليات ونظام حصارها المحكم، شدد الخناق على الفرنسيين، فقد سبق أن أقاموا مراكز في المناطق الداخلية، ولكنهم لم يكونوا قادرين لا على الوصول إليها ولا على الاتصال معها وكانت رسائلهم تحجز وتقطع رؤوس حامليها بدون تمييز وليس هناك قبائل صديقة جاءت إليهم بالمؤونة.

وسواء كان الفرنسيون في وهران أو في التافنة فإنهم كانوا لا يستطيعون الحراك إلا في فرق كبيرة، وفي هذه الحالة كانوا يحتاجون إلى تموين ضخم، وحيوانات تحمل الأثقال، و وسائل للنقل . وكان أهل الدوائر والزمالة، طلبا للأمن تحت حصون وهران، يعيشون على مؤونة مقترة يتصدق بها عليهم أسيادهم الفرنسيون من حين لآخر.

أما في تلمسان فإن كافينياك [2]كان يشتري القطط لمائدته بمبلغ أربعين فرنكا للقط الواحد،[3] فأصبحت الحاميات الفرنسية في حالة تثير الشفقة، فكل مهارة إدارة الميرة —المؤونة– كانت تتمثل في اتقاء رعب المجاعة الذي كان مخيما عليها في كل لحظة،[4] ووصف بيليسيي الوضع في حوليات جزائرية: "..**لقد كانت أوضاعنا في وهران متدهورة، حيث طالت فترة نصيب الجندي من الطعام إلى أقل من نصف حصته من اللحم، وانه في الآجال القريبة سيغيب كليا عن حصة الطعام**.."،[5] إضافة إلى ذلك فإن حملات التخريب والغزوات والمعارك المتجددة كانت كلها أمواجا متتالية تتحطم الواحدة تلو الأخرى على صخرة المقاومة الجزائرية، فها هي الحرب تستمر سنتين

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص264.

[2]– **بروسار** 1784–1867: شارك في الحروب النابليونية، ترقى لدرجة عقيد 1813، قائد بالنيابة بمقاطعة وهران 1837، ;أحيل على مجلس التأديب العسكري ثم أحيل على التقاعد. للتفصيل أكثر أنظر:

-Henry, D'estre: **Mémoires du général Changarnier**, Editions Berger-levrault-, Paris , 1930, P18.

[3]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص147–148.

[4]– **نفسه**، ص149.

[5] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T3, p193.

كاملتين دون أن تجني فرنسا من ورائها فائدة، هذا ما جعل النائب بروصون يصرح في مجلس النواب يوم 22 مارس:"..**إن هذه الحرب أشد ما تكون إضرارا لمصالحنا التي لا يخدمها سوى السلام..**"، فقررت حكومة مولي تجربة سياسية جديدة اتجاه الأمير عبد القادر.

وذلك بتغيير كلوزيل واستبداله بالجنرال دامريمون[1] حاكما عاما للجزائر وكانت سياسته تهدف إلى اعتماد الدبلوماسية لحل الخلافات مع الأمير عبد القادر والابتعاد عن الأعمال العسكرية.[2]

ب–عقد معاهدة التافنة 30 ماي1837:

حل الجنرال بروصارBrossard محل لتون Letangكقائد لمدينة وهران بتاريخ 3 جانفي1837، ومؤونة المدينة على وشك النفاذ النهائي،[3] ولم تكن مدينة تلمسان أحسن من مدينة وهران، فكان الوضع العام سيء وسكانها يخافون على مصيرهم، فالمواد الغذائية قلت في الأسواق،[4] ولحسن حظهم سيتخلص الفرنسيون من هذا الوضع بفضل اليهودي بن دوران الذي لحق بالأمير وهو يحاصر تلمسان،[5] فأقنع الأمير عبدالقادر بأن الفوائد التي سيحصل عليها من إطعام الفرنسيين ستفوق كثيرا حتى من الوجهة العسكرية، قيمة أي نصر يمكن أن يحققه عن طريق تجويعهم، فرخص له الأمير عبد القادر الاتصال بالفرنسيين، فتوجه بن دوران إلى وهران وفتح مفاوضات مع حاكمها بروصار حيث قال له بن دوران: "**إن الفرنسيين في حاجة إلى القمح واللحم، والسلطان من جهته في حاجة إلى الحديد والرصاص والكبريت، فليبتع كل طرف ما يحتاجه من الطرف الآخر وسيكون الجميع راضين..**".

---

[1]– **دامريمون** شارل ماري دنيس: ولد في 8 فيفري 1783 ، تخرج من مدرسة فنتان بلو العسكرية عام 1804 ، شارك في الحروب النابليونية ، استدعى في 21 جويلية 1830 لقيادة حملة على مدينة عنابة . تقلد رتبة لواء في ديسمبر 1830 .عين حاكما عاما في الجزائر1837 . قاد الحملة الثانية على قسنطينة أكتوبر 1837 ، قتل على إثرها من قبل المقاومة في 12 أكتوبر 1837. أنظر بالتفصيل : Narcisse Faucon : **OP.cit** , P 176.

[2]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص312.

[3] –Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T3, p194.

[4]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص248.

[5]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص265.

بل وإن الأمير عبدالقادر مستعد للسماح لكم باستئناف تموين مدينة تلمسان على شرط أن يطلق الفرنسيون سراح جميع الأسرى الجزائريين الذين أسروا إثر معركة السكاك،[1] لقد قبلت الإدارة العسكرية الفرنسية وعلى رأسها بروصار مقترحات الأمير بدون تردد،[2] فوافق الأمير عبدالقادر على الصفقة خصوصا بعدما وعد الجنرال الفرنسي بروصار بإعادة المائة والثلاثين من الأسرى الذين أخذهم بيجو في معركة واد سكاك والذين كان قد أرسلهم إلى فرنسا وكانت هذه الترتيبات على أهميتها للحاميات الفرنسية محدودة وخالية من كل طابع سياسي، ولكنها كانت بمثابة بالون للتجربة و خطوة في طريق التفكير في إحلال السلام و الوئام محل الحرب والخصام، وهذا ما يثبت إنسانية الأمير وأخلاقه العالية المثالية،[3] ولتأكيد ذلك كتب الأمير عبد القادر إلى قنصل فرنسا في طنجة، ميشان Méchain منتصف فيفري إمكانية استئناف المفاوضات التي أنجزها سابقا مع دروي دورلون، والاتصالات التي وقعت بينه وبين كلوزيل، وما موقف حكومته منها، والتي قام ميشان بإرسالها إلى حكومته في فرنسا،[4] وأمام هذا الواقع أدركت الحكومة الفرنسية إنه من مصلحتها مهادنة الأمير بقصد:

1- تخفيف شدة حصار المقاومة الوطنية على المراكز الفرنسية في الساحل.

2- التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الإقليم الشرقي.

3- إعداد فرق خاصة بحرب الجبال. [5]

وبعد مشاورات عديدة في باريس عُين موله Moley رئيس الوزراء الفرنسي الجديد دامريمون

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص149-150.

[2] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T3, p194.

[3]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص140.

[4]- Alex Bellemare : **Op.cit**, p159.

[5]- عمار بوحوش:**التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، ط1، د.غ.إ، بيروت(لبنان)، 1997، ص113.

حاكما عاما للجزائر بدلا من كلوزيل والجنرال بوجو[1] بمهمة خاصة لمفاوضة الأمير وتوقيع معاهدة تضمن حياده للتفرغ فيما بعد لبسط النفوذ الفرنسي على كامل المقاطعة الشرقية. [2]

لقد صادف ذلك التغيير كله الأمير وهو في حالة تفكير وتأمل يبحث عن المخرج لتحقيق هدنة يسترد فيها أنفاسه وسيعيد أثناءها تنظيم دولته المتصدعة، ويسترجع بها هيبته بين قومه، ويفرض الضرائب وينشط التجارة، وهكذا قام قناصله في أرزيو ووهران والجزائر بالتحضير لهذه الهدنة، فالتقت الجهود على عقد معاهدة صلح بين الأمير وبوجو،[3] وبعد محادثات طويلة وشاقة دامت شهرا ونصف الشهر تقريبا، وقع الطرفان عبد القادر وبوجو معاهدة التافنة بتاريخ 30 ماي 1837، وأعطت هذه الاتفاقية للأمير فترة سلام وهدوء استطاع خلالها دعم مركزه السياسي في دولته وإنشاء جيش نظامي لحماية حدودها، أما الفرنسيون فقد استفادوا من هذه الفرصة السانحة وجهزوا حملتهم العسكرية الثانية وتمكنوا من احتلال قسنطينة بتاريخ 13 أكتوبر سنة 1837،[4] هذه كلها خلفيات والأسباب التي أدت إلى عقد هذه المعاهدة والتي سأكتفي بذكر المواد التي تخدم موضوعنا المادة2، 3، 15.

جاء في **المادة2**: تحتفظ فرنسا لنفسها في إقليم وهران بمستغانم، ومزغران ونواحيها وهران وأرزيو، ومنطقة أخرى محددة كما يلي: من الشرق بنهر المقطع والسباخ التي يجري فيها، ومن الجنوب بخط يبدأ من السباخ المذكورة مارا بالضفة الجنوبية للبحيرة وممتدا إلى وادي المالح في اتجاه سيدي

---

[1]- **بيجو**: هو توماس روبير بيجو دولا بيكونيري المعروف بالدوق دي زلي، ولد في 15 أكتوبر سنة 1784 بليمونج، ومات بفرنسا بالكوليرا سنة 1849، رقي إلى رتبة ماريشال فرنسا في 31 جويلية 1843، وحارب قبل مجيئه إلى الجزائر في أسبانيا، تولى بيجو الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر 1840 إلى 29 جوان 1847، سلك خلال سنوات حكمه سياسة القهر والعنف والإبادة والتهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي مارسها تجاه الجزائريين. أنظر بالتفصيل م.و.د.ب.ح.و: **قرص مضغوط**، مرجع سابق.

[2]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص337.

[3]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص181.

[4]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج1، ص337-338.

سعيد، ومن هذا النهر إلى البحر سيكون تابعا للفرنسيين، أما في إقليم الجزائر فمدينة الجزائر والساحل وسهل متيجة محدودا من الشرق بوادي القدرة فصاعدا ومن الجنوب بقمة السلسلة الأولى بجبال الأطلس الصغرى ممتدة إلى نهر الشلف بما في ذلك البليدة ونواحيها ومن الغرب بالشفة إلى جبال مزغران، ومنه في خط مستقيم إلى البحر بما في ذلك القليعة ونواحيها سيكون منطقة فرنسية.

المادة03: يدير الأمير إقليم وهران وإقليم التيطري والجزء الذي لم يقع النص عليه من الشرق، في الحدود المذكورة في المادة02 في إقليم مدينة الجزائر، وليس له حق الدخول في أي جزء آخر من الولاية.

المادة15: تبقي فرنسا على ممثلين لها لدى الأمير، وفي المدن التي تحت سلطته لكي يعملوا كوسطاء لصالح الرعايا الفرنسيين، في كل الخصومات التجارية التي قد تنجم بينهم وبين العرب، ويتمتع الأمير بنفس الامتياز في المدن والموانئ الفرنسية.

وحسب هذه المواد أصبح الفرنسيون محصورين في بعض المدن الساحلية مع مناطق مجاورة ضيقة جدا بينما بقيت كل القلاع والمراكز الهامة في داخل البلاد في أيدي الأمير الذي أصبح يملك بموجب المعاهدة ثلثي الجزائر،[1] وفي يوم 31 ماي 1837 التقى الأمير عبد القادر بالجنرال الفرنسي بوجو بعد أن طلب هذا الأخير ذلك، وتبادلا أطراف الحديث حول المعاهدة، كما طلب بوجو من الأمير تموين القوات الفرنسية الموجودة في مراكزها،[2] ويوم 15 جوان 1837 تلقى الحاكم العام الفرنسي دامريمون من وزارة الحرب الفرنسية برقية تؤكد توقيع الملك الفرنسي على معاهدة التافنة،[3] وتعد هذه المعاهدة ثمرة لتدابير سياسية حكيمة ولمناورات بارعة، وخصوصا نتيجة لعمل صابر مثابر في المفاوضات التي كان الأمير يوجهها بنفسه في كل مرحلة من مراحلها، وعلى أساسها سينطلق الأمير في تثبيت حكمه وتنظيم دولته وتوسيع نفوذه فيها. [4]

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص159-161.

[2]- **مذكرات الأمير..**، مصدر سابق، ص124.

[3]-Alex Bellemare : **Op.cit**, p185.

[4]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص162.

2-نقض معاهدة التافنة وعودة الحرب:

لقد صرح النائب بيسا كاتوري في الخطاب الذي ألقاه بالبرلمان الفرنسي بتاريخ 21 أفريل 1837 قائلا: "...لأن السلم هو أفضل وسيلة للقضاء على سمعته-الأمير عبد القادر- ..."وهذا حتى قبل عقد معاهدة التافنة،[1] أما بعد أن عقدت صرح دامريمون الحاكم العام الفرنسي قائلا: "...إنها غلطة أعطت الأمير قوة ما كان يستطيع الحصول عليها ولو بنصر باهر، وجعلنا في وضع حرج نتيجة انعدام الضمانات الكافية، وانكماشنا في حدود ضيقة، كما أنها لم تكن معاهدة مشرفة لأن سيادتنا فيها لا ترتكز على شيء في حين أننا نتخلى عن حلفائنا..."، وأضاف قائلا: "...إن القوات الفرنسية كانت قادرة على التمركز في متيجة بحد السيف، وعلى تحسين وضعها من جميع النواحي في ضواحي وهران..."، [2] وما كادت أيام قليلة تمر على المعاهدة حتى قبض الجيش الفرنسي على أحد جنوده الفارين كان لاجئا عند حجوطة، وقاموا بإعدامه حتى يظهروا للجزائريين أن الحرب لا زالت قائمة، مما جعل الحاج محي الدين الصغير خليفة مليانة، يحدث ابن أخيه محمد بن علال عن شكوكه حول نجاح المعاهدة في الحفاظ على السلم، فكان باستمرار يرد:"..ستعود الحرب بعد 3 أشهر.."، وكان ذلك استشراف أولي حول مصير معاهدة التافنة. [3]

بعد مقتل الحاكم العام الفرنسي دامريمون أمام أبواب قسنطينة في الحملة الفرنسية بتاريخ أكتوبر 1837، جعل ذلك الحكومة الفرنسية تعين بصفة مؤقتة في منصب الحاكم العام الفرنسي فاليValée [4]بصفة مؤقتة، لكنه رفض هذا الوضع، وبعد رجوعه إلى مدينة الجزائر وبتاريخ 21

---

[1]- إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص141.

[2]- Alex Bellemare : **Op.cit**, p189.

[3] -Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p65.

[4]- **فالي** : ولد بشاتوبريان في 17 ديسمبر 1773 ، انخرط في الجيش و التحق بالجيش الفرنسي في الجزائر 1837، قاد فرقة المدفعية أثناء الحملة الثانية على قسنطينة، خلف الجنرال دامريمون الذي قتل أثنائها، استطاع أن يقود الجيش إلى الانتصار واحتلال قسنطينة 13 أكتوبر 1837، وقلد رتبة ماريشال في 11 نوفمبر 1837 وتولى مهام حاكم عام في الجزائر حتى نهاية ديسمبر 1840، استخلف بالجنرال بيجو، ونقض معاهدة التافنة في نوفمبر 1839بعد حملة البيبان، احتلت في عهده قسنطينة البليدة والقليعة، توفي في باريس عام 1846. أنظر بالتفصيل Narcisse Faucon: **OP.cit** , P 559- 560.

نوفمبر1837 جاءه مبعوث الملك الفرنسي لويس فيليب بقرار ترسيمه في منصبه وترقيته إلى رتبة ماريشال،[1] وكان فالي يطمح إلى تخليد اسمه، وتحقيق أمنية سابقيه من قادة الجيش الفرنسي في بلادنا، والمتمثلة في التوصل إلى ضم هذا الجزء من إفريقيا إلى بلاد الغال، لذلك راح يخطط لتعديل معاهدة التافنة قبل تمزيقها والتحلل من العهد المضروب باسم الملك لويس فيليب نيابة عن الأمة الفرنسية المتحضرة. [2]

أ–مشروع تعديل معاهدة التافنة:

لم يكد حبر معاهدة التافنة يجف حتى ظهر فيها الخلل وسوء التفسير،[3] وكان سقوط قسنطينة بداية لنزاع فما إن ثبت الفرنسيون أقدامهم في المقاطعة الشرقية حتى شرعوا يخططون لوصلها بالعاصمة الجزائر، فاصطدموا بنصوص معاهدة التافنة التي أصبحت موضع تفسيرات واجتهادات بين عبد القادر والحاكم العام الفرنسي فالي، وتركز الخلاف خاصة حول المادتين الثانية والخامسة عشر المتعلقين بتعيين الحدود واختيار القناصل ، ففي 10 ديسمبر 1837 أعلن الحاكم العام استنادا إلى النص الفرنسي للمعاهدة، إن حدود دولة الأمير غير واضحة شرقا،[4] والمشكلة الأساسية في المعاهدة هي بالضبط هذه النقطة، فبينما يقول النص العربي إن حدود الأراضي التي تحتفظ بها فرنسا شرقا تقع قبل وادي خضراء أعالي وادي بودواو، فإذا بالنص الفرنسي، يضعها في مشكل مناقض لمنطق اللغة نفسه عند النهر "وما وراءه"– au delà –، واستنادا إلى هذه الكلمة، زعم الفرنسيون أن المعاهدة تسمح لهم بالاستيلاء على ولاية قسنطينة وضمها إلى الأرض التي سمح لهم الأمير عبد القادر بالاحتفاظ بها، حيث أن الولاية تقع وراء وادي خضراء،[5] واعترض الأمير على الإعلان الفرنسي وحاول إقناع فالي بخطورة خطوته فأكد له استنادا للنص العربي أن ليس لدولته أي حق في مقاطعتي

---

[1] –Pellissier de Reunaud: **Annales Algériennes**, T2, nouvelle édition, Librairie Bastide, Alger, 1854, P247-248.

[2]– العربي الزبيري: **مرجع سابق**، ص131.

[3]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص207.

[4]– إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص148.

[5]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص152.

الجزائر وقسنطينة، ولم يقنع هذا التفسير الحاكم العام فالي الذي أخذ يستعد للمواجهة فصمم على تعديل الاتفاقية مهما كانت النتائج،[1] وفي رسالة من وزير الحربية الفرنسية بتاريخ 17 جانفي 1838 للحاكم العام الفرنسي فالي يوصيه بأن يكون سيد الموقف، بحيث يختار هو اللحظة الملائمة للقطيعة حتى يكون مستعدا لاستعمال القوة للمطالبة بترضيات"، وأما رئيس الحكومة مولي إذ يوافق على انتهاج سياسة تقوم على المراوغة والخداع، يشعر مع ذلك بقلق من النتائج النهائية لهذه السياسية ولذلك فهو يوجه إلى الوالي العام أسئلة دقيقة في الصميم. هل يمكن أن يدوم السلام خلال سنة 1838 دون أن يؤدي ذلك إلى ازدياد قوة الأمير عبد القادر؟وإذا كان السلام في غير مصلحة فرنسا، أفليس من الحكمة أن تتخذ بعض أعمال الأمير ذريعة لإعلان الحرب حينما تكون هي مستعدة لذلك؟[2] ونظرا للعلاقات الخاصة التي تقوم على محاباة المارشال فالي لابن الملك الذي يتطلع إلى البطولة في محاربة الأمير عبدالقادر، فإن الأمير أورليان Duc d'Orléon سوف لن يتردد في نقل المداولات السرية التي أجراها مجلس أبيه إلى الوالي العام فالي بصفة سرية، وقد كتب أورليان إلى فالي رسالة في 15 يناير 1838 جاء فيها: "إن كلمة –عمل موجب الحرب–قد وردت في هذه المداولات وقبلها بإجماع، وقد تقرر أن نستعد للحرب، ولخوض غمارها في الربيع القادم ولكنه يجب أن نتحفظ على أعمال عبدالقادر سرا، كما يجب أن نؤجل الفرصة لإيجاد حل شامل لخلافتنا معه حتى نكون في وضع يسمح بأن نعقب وعيدنا وإنذاراتنا بعمل سريع، وقد ساد الاعتقاد في الاجتماع بأنه يجب ألا نضيع وقتا وأن نسير خطوة خطوة في طريق حمل عبدالقادر على العودة إلى الحدود التي رسمتها معاهدة تافنة بسلام إن أمكن، وبعد ذلك بقوة السلاح، ومتى استنفذنا جميع وسائل التفاوض، والصلح فسوف لا يبقى أمامنا إلا استخدام القوة العسكرية"، واستعدادا لذلك أخذ الملك ورئيس الوزراء يعملان بدون كلل تحت شعور واضح بالقلق لإعداد لوازم الحرب،[3] وكرد

---

[1]- **نفسه**، ص153.

[2]- إسماعيل العربي:"سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب–خلفياتها ونتائجها"، **مجلة التاريخ**، م.و.د.ت، الجزائر، ع6، جويلية 1978، ص108.

[3]- **نفسه**، ص110-111.

فعل من الأمير عبدالقادر أسرع للتحرك بحيث أرسل وفدا إلى ملك فرنسا يتكون من ابن دوران وبوضربة وعلى رأسهم ابن عراش للتفاوض وكانت المهمة الموكلة إلى أعضائه محددة الشروط، وهي التمسك ببنود معاهدة الصلح وبرفض حازم لتعديلها،[1] لكن الحاكم العام الفرنسي فالي كان على علم بكل تفاصيل هذه المهمة، فكتب إلى حكومته محذرا لها من إعطاء أي تنازل قد يتدخل في سير مفاوضاته الخاصة من عبدالقادر،[2] وفي 6جوان1838وصل وفد الأمير إلى العاصمة الفرنسية لمعالجة الموقف فاستقبلته الحكومة الفرنسية بترحاب بالغ، لكن سرعان ما أدرك ابن عراش وزير خارجية الأمير أن مقترحاته مرفوضة من المسؤولين الفرنسيين استجابة لرغبات فالي، وإن إقامة أعضاء الوفد في باريس دون منفعة وشعروا بعجزهم واقتنعوا بأن حكومة الملك لويس فيليب ترفض التفاوض معهم لحل هذه المسألة،[3] بل أبلغ ابن عراش أن من المستحسن معالجة الأمر في الجزائر، ولما عاد ابن عراش من فرنسا في 28 جوان 1838، مر بمدينة الجزائر وقد استغل فالي هذه الفرصة ليعرض عليه مشروعا أعده لتعديل معاهدة تافنة وخصوصا المادة الثانية والفقرة التي تتصل برسم الحدود الشرقية للمنطقة المحتلة في ولاية الجزائر، ويقضي المشروع بتوسيع هذه الحدود إلى الشرق والجنوب معا وراء وادي خضرة ولا يترك للأمير من الولاية سوى جزء من أراضي بني جعد وونوغة، وكذلك ينص المشروع على حق فرنسا في إقامة خط للمواصلات بين أرزيو ومستغانم، المدينتين التين تحتلهما القوات الفرنسية، بموجب معاهدة تافنة، وزيادة على ذلك فقد حدد المشروع ضريبة جديدة يدفعها الأمير سنويا لمدة عشر سنوات بدلا من الضريبة التي نصت عليها المعاهدة وتقرر أن يدفعها الأمير مرة واحدة وينتهي أمرها قبل 15 جانفي1838،[4] وبعد أن أتم فالي عرض الوثيقة على ابن عراش طلب منه التوقيع عليها ووصفها بوثيقة نهائيه، فاعتذر إليه بالقول أنه غير مرخص له مثل ذلك وأنه سيعلم الأمير بذلك، لكن فالي أصر على أن يضع ابن عراش خاتمه على الوثيقة امتنع للحظة ثم وقع عليها واضعا

---

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص154.

[2]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص214.

[3]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص154-155.

[4]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص181.

خاتمه، ثم كتب على الوثيقة إنني اطلعت على هذا الملحق واستحسنته، ولست مسؤولا عن مصادقة أميري بتاريخ 4جويلية1838،[1] وطمعا في استرضاء الأمير عبدالقادر قام الحاكم العام الفرنسي فالي بإرسال وفد إلى الأمير عبدالقادر[2] ممثلا في صهره المقدم دوصالDe Salles مساعده الأول وابن دران و بن عراش و تمثلت مهمة الوفد في حمل الأمير عبدالقادر على الموافقة على وثيقة معاهدة التافنة المعدلة والتي ختمها ابن عراش بخاتمة محملا برسالة وهدية متمثلة في 500بندقية و100قنطار من البارود و100قنطار من الرصاص،[3] وبما أن الأمير عبدالقادر كان يحاصر التيجاني في عين ماضي، اتجه الوفد مباشرة إلى مقاطعة مليانة في أوائل جويلية 1838 لأن الأمير قد راسل سابقا في 15 ماي 1838 الحاكم العام الفرنسي فالي أن استخلف على دولته محمد بن علال خليفة مليانة، وإن كانت هناك مستجدات عليه بالتوجه إليه،[4] ولما وصل الوفد إلى مليانة استقبلهما خليفتها محمد بن علال بالتبجيل والإكرام وأطلع ابن عراش مهمة الوفد، وأنه سيترك القائد الفرنسي دوصال عنده، في حين سيتجه إلى تاكدامت ومن هناك سيرسل رسالة للأمير عبدالقادر ليخبره بما حدث وما هي المستجدات،[5] وبعد مأدبة العشاء التي أقامها خليفة مليانة محمد بن علال على شرف دوصال كرما ليس إلا سأله عن سبب زيارته فدار بينهما الحديث التالي:

دوصال: سيدي مبارك –محمد بن علال–أنت على دراية بأن قسنطينة سقطت في أيدينا، لكن لا يمكننا التوجه من الجزائر إلى قسنطينة إلا عبر البحر ونرجوا أن نتوجه إليها برا.

محمد بن علال: إن الطريق الذي يؤدي من الجزائر إلى قسنطينة هو ضمن إقليم الأمير، وأن معاهدة التافنة 30ماي1837 تمنعكم منعا باتا من المرور دون ترخيص منه.

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص345–346.

[2]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص215.

[3]–Georges Yver : **Op.cit**, p244.

[4] –Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p81.

[5]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص346.

دوصال: لكن ميلود بن عراش ختم على وثيقة معدلة لمعاهدة تسمح لنا بالمرور برا من الجزائر إلى قسنطينة.

محمد بن علال: ابن عراش قد سافر وهو غير موجود فلا يمكنني الوثوق بكلامك.

دوصال: لكن ابن عراش وضع ختمه على الوثيقة المعدلة لمعاهدة التافنة باسم الأمير وبما أنك خليفته بالنيابة على دولته أتوجه إليك بطلب الموافقة عليها.

محمد بن علال: هل تذكر ما قاله الجنرال بوجو للأمير أن معاهدة التافنة 30 ماي1837 لا تصبح سارية حتى يوقعها الملك ومجلسه، أما نحن فالأمور تختلف عندنا حين نوقع على معاهدة الجميع، يجب عليه الاعتراف واحترام ما فيها، وليست إلا كلمة واحدة، وبما أنك تريد رأيي حول هذه الوثيقة التي وقع عليها ابن عراش بخاتمه فهي ليست سوى مجرد ورقة ما دام لم يوقعها الأمير بنفسه،[1] وأشار رينو دي بيليسيي[2]Rynaud de Pellissier: "..أن خليفة مليانة محمد بن علال أبقى عنده دوصال لمدة 15 يوما تحت طائلة مختلف الحجج وفي الأخير لم يحصل على أي شيء ولم يفلح في مهمته.."، [3]وعاد الأمير عبدالقادر إلى تاكدامت في العاشر من شهر جانفي 1839، وكان مبعوثه ابن عراش بانتظاره ليقدم له تقريرا عن مهمته، ولما علم الأمير أن ابن عراش وضع خاتمه الخاص

---

[1] -Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p87.

[2]- **بيليسي** :جون جاك (دوق دومالكوف) : ولد في 6 نوفمبر1794 في مدينة ماروم الفرنسية ، تخرج من سان سير العسكرية في 18 مارس 1815 في سلاح المدفعية ، تقلد رتبة ملازم أول في 1820 ، ثم نقيب في 1828 ، شارك في حروب اليونان تحت قيادة ديريو-Durrieu ، شارك في الحملة على الجزائر 1830 ثم عاد إلى فرنسا ، عاد مرة ثانية إلى الجزائر عام 1839 برتبة مقدم حيث بقي بها 16 سنة ، أصيب بطلقة نارية في عملية إحتلال مليانة في معركة الزبوج 15 جوان 1840 و أصيب مرة أخرى في احتلال معسكر 1841 ، تولى قيادة مستغانم ، شارك في احتلال تاقدامت 1841 و الشلف 1842 و فليتة 1843 ، ترقى برتبة عقيد جويلية 1843 ، شارك في معركة إسلي ضد المغرب 1844 ، اشتهر بمجزرة غار الفراشيش 19 جوان 1845 بالظهرة ، تولى منصب حاكم عام بالنيابة من 23 أفريل – 10 ديسمبر 1851 ، كلف بقمع المقاومة في القبائل 1851 ثم في الأغواط 1852 ، عين حاكما عاما في 24 نوفمبر 1860 في الجزائر ، توفي في الجزائر يوم الأحد 22 ماي 1864 . للتفصيل أكثر Changarnier: **Op.cit**, P240-241.

[3] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P279.

على الوثيقة المعدلة لمعاهدة تافنة استشاط غضبا، وقد صاح قائلا:"..أبداً، أبداً لن أصادق على معاهدة تمنح الفرنسيين جسرا أرضيا بين قسنطينة ومدينة الجزائر..". [1]

ورغم فشله المتكرر فإن المارشال فالي قد قرر أن يحاول مرة أخرى الحصول من عبدالقادر على الموافقة على تفسير حكومته للمادة المتنازع عليها،[2] وما إن غادر الأمير عبدالقادر تاكدامت وعاد إلى مليانة متجها إلى معسكره ببوخرشوفة في شهر فيفري 1839 اغتنم فالي الفرصة وبعث صهره دوصال محملا بالهدايا ورسالة يرجوا فيها الأمير على التصديق على المقترحات الفرنسية لتعديل المعاهدة، وقد وجد الأمير نفسه إزاء هذا المسعى في غاية الحرج، حيث أصبح مضطرا إلى الاختيار بين أمرين كليهما محنة، فإما أن يوافق على المشروع الفرنسي ويثير بذلك قطاعا مهما من الرأي العام، وعددا من الشخصيات العسكرية والسياسية التي تحيط به والتي كانت تعارض معاهدة تافنة من أساسها وتعتبرها رمزا للتحالف مع العدو وانحرافا عن طريق الجهاد المقدس،[3] وقد عبر عن ذلك المؤرخ الفرنسي آليكس بيلمارAlex bellemare قائلا: "إن الأمير كان على علم بالإشاعات التي كانت تدور بين رعيته حول معاهدة التافنة والتي تقول أن الأمير يدفع ضريبة للفرنسيين-المسيحيين- وأن الكفار يتجولون في أراضي الإسلام تحت حمايته، بل أنه يسمح لهم حتى بالاستقرار بها.."، [4] وإما أن يرفض المشروع ويلقي الفرنسيون على عاتقه المسؤولية ويتخذون هذا الرفض ذريعة لاستئناف الحرب، وللخروج من هذا المأزق، ولكي يبرئ نفسه أمام الرأي العام من التخاذل، ويثبت في نفس الوقت للفرنسيين أنه ليس من ذلك الطراز من الحكام الذين لا يعيرون وزنا لرأي شعوبهم، قرر أن يجري نوعا من الاستفتاء فدعا الأعيان والمسؤولين والقواد العسكريين للاشتراك في اجتماع مجلس الشورى، وبحضور القائد الفرنسي دوصال الاجتماع لكي يتابع المناقشة التي ستجري حول هذا الأمر الخطير وينقل إلى رئيسه انطباعات حية مع قرار المقاومة بشأن مشروعه، ولما استقر به المجلس، عرض

---

[1]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص215.

[2]- **نفسه**، 221.

[3]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص183.

[4]-Alex Bellemare : **Op.cit**, p244.

الأمير قضية تعديل المعاهدة على المؤتمر و أخبر المجتمعين بأمر الملحق المقترح للمعاهدة، وقال لهم: "..**أنظروا ما يحلوا لكم واظهروا ما فيه رغبتكم**.."، أمام مندوب الحاكم العام، ولم يكد الأمير ينتهي من تصريحه حتى ضج الجميع بالرفض قائلين أن إذا رضيت فرنسا بما تم الاتفاق عليه في تافنة فذاك: "..**وإلا فالحرب وبالله المستعان**.."، [1] فأقبل الأمير على القائد دوصال وقال له ها أنت قد نظرت بعينيك وسمعت بأذنيك، وليس الخبر كالعيان، فأخبر الحاكم بما رأيت وسمعت، والذي عندي هو أن تتكلم معه بما يقنعه، ويحمله على إبقاء المعاهدة جارية في سبيلها القديم، فإن ذلك أحسن للطرفين وأليق بالجانبين وعاقبة الحرب –كما لا يخفى– وخيمة، وسفك الدماء مع إمكان حقنها– لا يجوز في سائر الشرائع المقررة. ولا يرضى به ذو عقل سليم. وعلى كل حال، فنحن مسرورون بقدومكم علينا. ونرجوا أن يكون، ما شاهدته وسمعته، من نواب المملكة أكبر عذر لنا عند الحاكم. [2] والمهم أن الأمير رفض مشروع تعديل المعاهدة رفضا باتا وقد كان من المفروض أن ينتهي الأمر عند هذا الحد ويصبح المشروع لاغيا، بسبب رفض أحد الطرفين الساميين –الأمير والملك الفرنسي– في المعاهدة التصديق عليه، ولكنه بدلا من ذلك حاول فالي إقناع حكومته بأنه حصل على موافقة الطرف الجزائري بتوقيع ابن عراش، فاقتنعت الحكومة الفرنسية بسهولة بهذا القول، أو تظاهرت بالاقتناع، وداست على أبسط قواعد المجاملة والعرف الديبلوماسي، حين وضعت شريكها– الأمير عبد القادر– في المعاهدة أمام الأمر الواقع، وأعلنت أن المقترحات التي وقعها ابن عراش بصورة أولية، أصبحت اتفاقية قانونية بل ونافذة المفعول وملزمة للطرفين، فقد كتب وزير الحربية إلى الوالي العام يقول: "على الرغم من أنه –الأمير– لم يصدق عليه –التعديل– يجب أن تعتبره القاعدة التي يجب عليه –الأمير– أن يخضع لها، حينما تحتاج إلى تطبيقه"، نفس الشيء أقره رئيس الوزراء في مراسلة إلى فالي: "..يجب أن تكون اتفاقية 4 جويلية، على الرغم من عدم التصديق عليها هي الأساس الذي تقوم عليه تصرفات الحكومة اتجاه الأمير.."، وقد اعتبرت الحكومة الفرنسية هذا النص الغريب رسميا إلى درجة أنها نشرته ضمن الوثائق الرسمية، وهذه هي بداية الأزمة أو إن شئت أوجها

[1]– إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص183–184.

[2]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص348.

وهكذا وبعد ما حطم فالي إطار المعاهدة وقضى على روح التعاون التي كان الجزائريين يأملون في أن تؤدي إلى التعايش السلمي مع الفرنسيين المحتلين، فلم يستطيع إحلال نظام جديد للعلاقات الجزائرية الفرنسية محل نظام التافنة، كما أنه لم يستطيع أن يشن العمليات الحربية التي كان يستعد لها خلال فصل الصيف.[1] وبمقتضى المادة 15 من معاهدة التافنة 30ماي 1837 عين الأمير قناصله في كل من وهران ومستغانم ومدينة الجزائر،[2] وكان قنصل الأمير المعين في مدينة الجزائر إيطاليا يدعى غرافينيGaravini وهو في نفس الوقت قائم بأعمال قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ أكتوبر 1838،[3] لكن اعترض على هذا التعيين كل من وزير الحربية الفرنسية والماريشال فالي موضحين قلقهما عن ربط العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والأمير عبد القادر، وإزاء الموقف المتصلب للفرنسيين راسل الأمير الحاكم العام فالي لشرح خطوته فأوضح له صعوبة اختيار ممثل قادر للقيام بهذه المهمة سوى غرافيني، وإن هذا التعيين قد تم وفقا لمعاهدة التافنة، فكان ذلك الأمر سببا للتوتر والمشاكل ولما بلغت الأزمة منتهى الشدة، اعتذر غرافيني للأمير وترك منصبه.[4]

ب– حملة الأبواب الحديدية – حملة البيبان –1939:

في تقريره إلى حكومته بباريس حول فشل مهمة دوصال ووضعية القوات الفرنسية في الجزائر،[5] أرفقه – التقرير– باقتراح يقضي القيام بمسيرة عسكرية لإثبات –حقوق– فرنسا في الأراضي المتنازع عليها، تبدأ من سطيف وتنتهي إلى مدينة الجزائر عبر مضيق البيبان أو ما يعرف بالأبواب الحديدية،[6] من خلالها يتم ضم دلس، وبرج حمزة، حسب معاهدة التافنة المعدلة دون أن يؤدي ذلك إلى إعلان الحرب، إلا إذا قام الأمير بمهاجمتنا في الشفة أو برج حمزة، وبذلك ينقض معاهدة التافنة

---

[1]– إسماعيل العربي: **"سفارة ميلود بن عراش..."**، مرجع سابق، ص127.

[2]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص331.

[3]– هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص217.

[4]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص162.

[5]–Alex Bellemare : **Op.cit**, p246.

[6]– إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص188.

وتنتهي فترة السلام، وحصلت هذه الخطة على موافقة الحكومة الفرنسية. [1] وشاع خبر القيام بحملة عسكرية كبيرة بين الجيش الفرنسي منذ مدة ولم يتأكد ذلك إلا بوصول الدوق أورليان نهاية سبتمبر 1839إلى مدينة الجزائر،[2] ولكي تعطى هذه الحملة بالغ الأهمية تقرر أن الدوق نفسه هو الذي يشرف على تنفيذها[3] وحتى يأمن نفسه من جميع الأخطار عهد إلى يهودي من سكان وهران اسمه بوردن بتقليد ختم الأمير الذي ختم به وثيقة سفر بقصد تقديمها عند المرور على رأس جيشه بأراض الأمير إلى قائد المنطقة ليوهمه أن المرور عبر مضيق البيبان قد أذن به الأمير للجيش الفرنسي.[4] وفي 12 أكتوبر 1839 وصل ابن الملك إلى قسنطينة ومن هناك سافر برفقة الحاكم العام فالي إلى ميلة على رأس قوة تتكون من 4 آلاف جندي وضابط، ومن ميلة سارت القوة في 18 أكتوبر1839 إلى سطيف اضطرها هطول الأمطار الغزيرة إلى البقاء فيها حتى يوم 26 من الشهر نفسه، حينها اتجهت إلى مضيق البيبان الذي اخترقته يوم 28 أكتوبر 1839، وقد استغرقت عملية عبور هذا المضيق الوعر التي بدأت عند الباب الصغير أربع ساعات من الزوال حتى الساعة الرابعة، ونظرا لما انطوت عليه هذه الحملة من أخطار[5] قام المقراني أحد شيوخ القبائل والذي كان عميلا للفرنسيين بتجنيد خيرة مقاتليه واستئجار مرشدين، كما أنه دفع أموال لبعض القبائل حتى لا تتعرض الحملة الفرنسية لهجومها ، و رغم ذلك فإن قبيلة بني منصور شنت هجوما خاطفا يوم 26 أكتوبر 1839 على الفرنسيين حين كانوا يعبرون أراضيها. [6]

في حين كان أحمد بن سالم خليفة الأمير يراقب تقدم الحملة الفرنسية منذ 30 أكتوبر 1839حتى دخولها إلى برج حمزة، وفي 31 أكتوبر قام بشن هجوم خاطف على مؤخرة الجيش

---

[1]- Alex Bellemare : **Op.cit**, p247.

[2] -A.Dumas : **Histoire du 2ém régiment d'infantrie légére**, Armée Française, imprimé par Béthune et plon, Paris, 1845, p418.

[3]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص233.

[4]- الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص115.

[5]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص188.

[6]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص165.

وتبادل معهم إطلاق النار دون أن يلحق بهم خسائر فادحة. [1] وبذلك أثبت الخليفة أحمد بن سالم معارضته لهذه الحملة ريثما يتلقى تعليمات من الأمير،[2] وفي 1 نوفمبر دخل الدوق أورليان والماريشال فالي مدينة الجزائر دخول المنتصرين واستقبلوا فيها استقبال الفاتحين، وقد دامت الاحتفالات أربعة أيام كاملة، وأقيم احتفال ضخم في ساحة باب الواد لأبطال أبواب الحديد، وشربت أنخاب حماسية على شرفهم، وقدم إلى الدوق رسميا إكليل من سعف نخيل كان قد قصى و ظفر في مجاز الأبواب الحديدية و اعتقد الفرنسيون الآن أنهم قد احتلوا الجزائر. [3] كان ذلك الاعتداء على الحدود المعلومة فعلا ناقضا للمعاهدة تعمده المارشال فالي لاستفزاز الأمير عبد القادر الذي انتقل إلى مدينة المدية بمجرد أن أتاه النبأ بذلك، وكتب إلى الحاكم العام يحتج ويلقي عليه مسؤولية استئناف القتال الذي طالما عمل الأمير عبد القادر على تجنبه. [4] وعلق الطبيب الرئيسي للجيش الفرنسي بونافو Bonnafont : "... **لا ندري ما هي فوائد هذه الحملة غير أنها كانت عواقبها وخيمة فقد وصف الأمير عبد القادر فالي بالجبان، كما أعلن الحرب علينا...**". [5]في حين صرح سانت آرنو Saint-Arnaud : "... **لقد قاد فالي الحملة ببراعة، سنرى كيف يمكنه تسيير الحرب...**" [6]وهذا إقرارا فرنسيا أن نتيجة الحملة هي الحرب. وجاء نص الرسالة التي كتبها الأمير عبد القادر إلى المارشال فالي " بينما كنا معكم في حال سلم و معاهدة، فلم نشعر إلا وقد فعلتم ما ينافي ذلك، و تجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم بغير إذني ، ومررتم بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلادي بدون وجه يسوغ لكم ذلك ويجوزه. ولو أخبرتموني أن ابن الملك يريد زيارة بلدنا، لكنت رافقته

---

[1] -A.Dumas : **Op.cit**, p224.

[2]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص189.

[3]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص234-235.

[4]- العربي الزبيري: **مرجع سابق**، ص138.

[5] -Bonnafont : **Douze Ans en Algérie 1830 à 1842**, E. Dentu, Editeur, libraire da la société des gens de lettres, Paris, 1880, p362.

[6] -François Maspero: **l'Honneur de Saint-Arnaud**, Casbah éditions, Algérie, 2004, p133.

بنفسي، أو عينت أحد خلفائي لمرافقته. والذي يظهر أن القصد من فعلكم هذا هو إظهار التعدي على حقوقي حتى أتأثر بذلك و ينجر الأمر إلى نقض المعاهدة. والحال إن فعلكم هذا، هو نفسه، ناقض للمعاهدة و مبطل لها " وبناءاً عليه أعلن لكم أنني عزمت على استئناف الحرب وبالله المستعان، فارفعوا وكلاءكم من بلادي وأنذروا قومكم المقيمين فيها والمسؤولية عليكم وحدكم ".[1] من هو البادئ بالعدوان في هذه الحالة؟ إن الحقائق تصرخ عاليا، في هذا السياق. إن السير على رأس جيش في أراضي دولة حليفة، يعتبر إعلانا للحرب. ولكن هذه المسيرة حينما تقع في ظروف تزيد من خطورتها مثل إبراز وثائق مزورة مزيفة، يكون العدوان فاضحا ، وبالتالي ،فإن الحرب أمر لا مفر منه.[2] وبعد اجتماعين 14و 15 نوفمبر 1839 الذي عقده الأمير عبد القادر مع مجلسه الشوري المكون من خلفائه والعلماء و رؤساء القبائل انتهى بإعلان الأمير الحرب رسميا على الفرنسيين يوم 18 نوفمبر 1839.[3]وضمن ذلك في رسالة أخيرة بعثها إلى المارشال فالي وقع عليها جميع خلفاء و العلماء و قواد الجيش و سائر رؤساء القبائل و جاء فيها: "كتبت إليكم منذ خمسة عشر يوما ما فيه الكفاية. والآن أعرفكم تعريفا نهائيا بأن سائر أهل الوطن، اتفقت كلمتهم واجتمع رأيهم على استرجاع شرفهم بالحرب، لأنهم رأوا تجاوز الحدود المعينة في معاهدة تافنة مبطلا لها، ناقضا لأساسها. وأما أنا، فقد أجهدت نفسي في تغيير آرائهم و صدهم عن قصدهم فلم يجد ذلك نفعا، بل زادهم هيجانا و رغبة في إشهار الحرب، و جعلوا العهدة في تأخيرها علي وحدي. فبناءاً على ذلك، أعلموا أنني ما خفت ولا نكثت عهدي معكم. وإنما ذلك كان منكم، لا مني. فأذنوا لوكلائي عندكم في تعجيل العودة إلي. والله المستعان"، وبذلك عادت الحرب بين الفرنسيين و الأمير وتجددت معها المقاومة الوطنية. [4]

---

[1]- محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص354.

[2]- الكولونيل إسكوت: **مصدر سابق**، ص116.

[3]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص237-238.

[4]- محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص360.

3-اعتماد فرنسا سياسة التوسع واحتلال مدينة مليانة جوان1840:

أقر الفرنسيون أن المقاومة لم تنقطع بين ماي 1838 ونوفمبر 1839، وأن قبائل بني مصرة، وغلاي، وبني صالح، وبني موسى، وحجوطة لم يهدأ لهم بال منذ أن تم إقامة مراكز عسكرية أمامية في متيجة، وأن هذه المقاومة ازدادت ضراوة منذ أن نقضت معاهدة التافنة، وتجددت المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر خاصة بعد أن أصدر أوامره لخلفائه لتكثيف العمليات ضد مراكز العدو بمتيجة العسكرية ومستوطنات المعمرين. [1]

فما بين ليلة 9-10أكتوبر1839، قام مجموعة المقاومين من حجوطة بحرق بيتين للمعمرين، أما يوم 10 أكتوبر1839، قام إبراهيم بن خويلد أحد قادة قبيلة حجوطة مع مجموعة من المقاومين[2] من تجاوز واد شفة الذي كان يعتبر حدّا فاصلا بين الفرنسيين والجزائريين أيام الصلح،[3] بحجة محاولة استرجاع قطيع من البقر سرقت منه، وكان هذا فقط للاستطلاع فتراجع بسبب خروج كتيبة 24 الفرنسية بقيادة رفائيلRaphel، والتي كانت أكثر عددا وعدة، أما في 10 نوفمبر نصب إبراهيم بن خويلد كمينا محكما مع مجموعة من المقاومين للقوات الفرنسية بقيادة الرائد رفائيل، انتهى بمقتل 30 من قناصة إفريقيا، وضابطين، وهما الرائد رفائيل والملازم الأول ويترشيمWittersheim، ويوم 11 نوفمبر استولى المقاومون على قطيع المركز الفرنسي العلوي بالبليدة، لكن قائد المركز الكولونيل جانتيلGentil استطاع من استرجاعه،[4] وتعد كل هذه العمليات حرب استنزاف قامت بها المقاومة هدفها تقدير قوات العدو واستطلاع أحواله، ومعرفة نقاط قوة وضعف مراكزه العسكرية، وهذا لتهيئة الأوضاع للحرب الشاملة التي كان خلفاء الأمير يحضرون لها، وعلى رأسهم محمد بن علال بن مبارك خليفة مليانة، وبعد الإعلان الرسمي للحرب بتاريخ 19 نوفمبر 1839 من قبل الأمير على الفرنسيين، شهدت منطقة متيجة عمليات حربية واسعة كان خليفتا المدية ومليانة قد عبرا

---

[1]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص63.

[2]-C. Trumelet : **Op.cit**, P169.

[3]- محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص362.

[4]-C. Trumelet : **Op.cit**, P170.

واد شفة يتقدمان جنودهما بتاريخ 20 نوفمبر 1839،[1] وتوجه إبراهيم بن خويلد على رأس فرقة من المقاومين من حجوطة إلى مقطع مخلوف عند نقطة سيدي خالف، الواقعة على 4 كلم شرق بوفاريك، حيث هاجم قافلة تموين متوجهة نحو مركز واد العلايق مشكلة من 39 رجل من كتيبة 23 خط بقيادة ملازم، وبعد ربع ساعة قضى عليها المقاومون،[2] وفي نفس اليوم هاجم المقاومون قافلة تموين أخرى بين بوفاريك والبليدة، فكانت نتيجة الهجوم مقتل قائد القافلة فقط،[3] كما تم أسر المعمران لورانLauran وهيرمانHerman بوادي بوشملة، ثم أخذا إلى ما وراء وادي شفة أسرى،[4] وفي يوم 21 نوفمبر هاجمت قوات المقاومة مكونة من 1500 فارس القوات الفرنسية بالقرب من مركز واد العلايق، والمتمثلة في كتيبة 24 خط، و23 قناصة من الفوج الأول، وقتلوا منها 108 رجل من بينهم ضابطين القبطان طوماسThomas، والملازم باردي Bardé، أما قوات المقاومة فخسائرها كانت قليلة جدا،[5] ورافقت تلك الهجومات العسكرية عمليات حرق وتخريب للمستوطنات والمؤسسات الزراعية، والمزارع النموذجية، والمراكز المنتشرة الفرنسية، ودمرت عن آخرها،[6] وعند انتشار الأخبار التي تتعلق بهذه الهجومات ساد بين سكان المنطقة الذعر، وأخذ الأوروبيون يتدفقون على مدينة الجزائر هروبا للنجاة بحياتهم،[7] ونتيجة ذلك جلا الناس عن منازلهم الواقعة في الضواحي، وأخلي منزل الماريشال فالي، الذي كان واقعا في حي مصطفى باشا، ونصبت الحواجز في الطرقات واستمر الخوف والذعر، وقلت المواد الغذائية في الأسواق، وضاعفت المجاعة من مشاعر اليأس والخوف،[8] وزاد ذلك بسبب توغل وقرب قوات المقاومة بقيادة الأمير من أبواب مدينة الجزائر،

---

[1]- تشرشل: **مصدر سابق**، ص239.

[2]- C. Trumelet : **Op.cit**, P171-173.

[3] -Pellissier : **Op.cit**, T2, N.E, P362-363.

[4]- C. Trumelet : **Op.cit**, P174.

[5] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P363.

[6]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص239.

[7]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص199.

[8]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص239-240.

فاستولى الرعب على الفرنسيين الذي كانوا يتخوفون خصوصا من احتمال قيام الأهالي-سكان مدينة الجزائر- بالثورة ضدهم،[1] وشعر فالي بخطورة الموقف ولتفادي تعقيد الوضع القتالي أخلى مراكزه العسكرية خلال الفترة الممتدة من 23 نوفمبر حتى 4 ديسمبر باستثناء أربعة مراكز هي: الفندق، الأربعاء، وقارة مصطفى، والمعسكر الواقع في مرتفعات البليدة، وقد سعى إلى تموينها بالمؤن والأعتدة الحربية اللازمة للدفاع عنها ضد كل هجوم محتمل، فما كاد الفرنسيون يبسطون نفوذهم المباشر على ضواحي الجزائر وبعض المراكز العسكرية حتى قطعت خطوط تموينهم من قبل المقاومة،[2] ففي 7 ديسمبر 1839 وبأمر من خليفة الأمير محمد بن علال تسربت قوات المقاومة بقيادة قادة ولد الكواش بمعية ألفين من الجند النظاميين، والمقاومين المتطوعين من بني مصرة، وبني صالح، وغلاي، وحجوطة، معظمهم مسلحين بأسلحة بدائية لاختراق أسوار مدينة البليدة، غير أن نقص العدة حال دون تمكن المقاومين من دخول المدينة ،رغم المعركة الحامية التي خاضها الجيش النظامي بقيادة قادة ولد الكواش، والتي انتهت بانسحابه بسبب جروحه البليغة التي أصابته في ساقه وسقوط عدد من جنوده شهداء، كما شهد يوم 14 ديسمبر هجومات قوات المقاومة المشكلة من المتطوعين والنظاميين بقيادة خليفة الأمير في مليانة محمد بن علال على الجيش الفرنسي الذي كان قوامه 5000 جندي عند مخرج بني مراد، وقد سقط إثر ذلك 10 قتلى و80جريح، من بينهم 5 ضباط في صفوف الفرنسيين،[3] واستطاعت المقاومة في شرشال التي هي ميناء مقاطعة مليانة بتاريخ 26 ديسمبر 1839 من الاستيلاء على سفينة تجارية فرنسية، والمسماة فريديريك أدولف Frédiric Adolf، فتم الاستيلاء على جميع محتوياتها وتفكيكها، فشكل ذلك مؤشرا خطيرا بالنسبة للفرنسيين،[4] لكن ما فتئ نشاط المقاومة يفتر بسبب هزائمها أمام القوات الفرنسية في معارك 14 و15 ديسمبر 1839 بين بني مراد والبليدة، ومعركة 31 ديسمبر بين البليدة والشفة، والتي قادها

---

[1]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص199.

[2]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص240-241.

[3]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص66.

[4] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P376.

الحاكم العام الفرنسي فالي،[1] وبعد وصول الأخبار إلى فرنسا سارعت الحكومة الفرنسية في أوائل شهر فيفري 1840 بإرسال تعزيزات عسكرية للجزائر، حتى أصبح عدد جنود الجيش الفرنسي في مدينة الجزائر وحدها 33044جندي وضابط، أما في الجزائر ككل فقد بلغ 58000 جندي وضابط،[2] كل هذه الإجراءات كانت تهدف إلى بسط النفوذ الفرنسي والسيطرة على قوات الأمير مهما كلف ذلك من مشقات وتضحيات، وإن حكومة باريس وافقت في 11 فيفري 1840 على تدابير أو خطة المارشال فالي، وعلى مشروعه المتعلق بتنفيذ حملتين ضد الأمير، الأولى في ربيع 1840 والثانية في خريفها. [3]

لقد استنتج فالي نتيجة معاركه الكثيرة ضد المقاومة الوطنية بقيادة الأمير أن أفضل وسائل الدفاع هي الهجوم، على مرحلتين، تستهدف المرحلة الأولى المدن الداخلية الكبيرة التابعة للأمير وفي مقدمتها شرشال، والمدية، وملیانة، وتأميم المواصلات بينها وبين الموانئ البحرية الواقعة تحت الاحتلال كوهران، ومستغانم، وفي المرحلة التالية تُتخذ هذه المدن بدورها قواعد تنطلق منها عمليات لاحتلال المواقع والمدن المجاورة لها، وطرد قوات المقاومة تدريجيا من الشواطئ والتل، ودفعها إلى الصحراء،[4] وفي هذا الإطار جاءت مراسلة الدوق أورليانDuc d'Orléans إلى فاليه يقول: "...**إن الملك ومجلسه الاستشاري يروا أن بداية العمليات تنطلق من مدينة الجزائر ضد مقاطعة التيطري، وتثبيت التواجد الفرنسي هناك، مع احتلال المدية، وملیانة، وشرشال وربط مواصلات قواتنا عبر سهل شلف مع قوتنا التي تنطلق من وهران، وهذا دون احتلال معسكر أو تلمسان...**"،[5] ولما تولى الوزارة تييرThiers في 1 مارس 1840 نصح الأخير فاليه بأن يقصر خطته هذه ويكتفي باحتلال المدية، وملیانة، وشرشال، ويؤمن المواصلات بين هذه المدن وحامية وهران عبر وادي

---

1 -Rozet et Carette: **Op.cit**, P606.

2 -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P375-376.

3- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص255.

4- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص202.

5 -Xavier Yacono : **la colonisation des plaines du Chelef de la Vigerie au confluent de la Mina**, T1, Imprimerie. E. Imbert, Alger, 1955, P244.

شلف،[1] واستعدادا لتنفيذ هذه الخطة قام فاليه بمشاورات عديدة مع كبار ضباطه، من خلالها تعهد بتنفيذ خطته الهجومية أثناء حملة الربيع، والتي تقوم أساسا على:

- مهاجمة الأمير في الجزء الشرقي من إمارته المتاخم لمقاطعة التيطري.
- احتلال مدن شرشال، المدية، ومليانة، وتركيز حاميات فيها.
- تدمير جميع منشآت جيش الأمير في كل من بوغار وتازة.

وهذا إجمالا وتفصيلا لخطة حملة الربيع التي سيقوم بها فاليه بداية من 15 مارس 1840.[2]

أ-الحملة الفرنسية على مدينة مليانة 4-9 جوان 1840:

كانت مليانة مدينة محل اهتمام الفرنسيين منذ السنوات الأولى للاحتلال، ففي سنة 1835 ارتأى كلوزيل تعيين أسرة إقطاعية ذات نفوذ لتحكمها، لكن تحت الوصاية الفرنسية مقابل أموال تعطى لهذه الأسرة،[3] ولهذا فكر في بادئ الأمر في توليه منصب حاكم مدينة مليانة الكرغلي محمد بن عمر باشا، لكن هذا الأخير اعتذر بسبب شعوره بخطر المهمة، وأن أهالي مليانة لا يقبلون ذلك،[4] ولهذا قام بتاريخ 9 سبتمبر 1835 بإصدار قرار تعيين مصطفى بن عمر بايا على مليانة وشرشال،[5] واقترح كلوزيل في رسالة مؤرخة بتاريخ 2 أوت1836 إلى الجنرال رابتيلRaptel جاء فيها :"..**وجوب إحتلال كل المدن المهمة وتثبيت بها حاميات عسكرية**.." من بينها مليانة[6]، لكن مشروع احتلال المدينة قد بعث من جديد مع سنة 1840، فأصبحت مليانة مهددة مباشرة بعد احتلال الفرنسيين لمرفأ شرشال بتاريخ 15 مارس 1840،[7] وفي 25 أفريل توجه فالي بقواته لاحتلال المدية، وكلف الأمير عبد القادر خليفته محمد بن علال بمحاولة وقف الزحف الفرنسي أو

---

[1]- إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية...**، مرجع سابق، ص203.

[2]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص255-256.

[3] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, 1836, P133.

[4]-Léon Roches : **Op.cit**, p52.

[5] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T3, 1836, P5.

[6]-Alex Bellemare : **Op.cit**, p271.

[7] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T3, 1836, P378.

تأخيره على الأقل، وفي حال عدم تحقيقه ذلك ينسحب إلى مرتفعات مضيق موزايا، وصباح 26 أفريل اجتازت الوحدات الفرنسية وادي شيفا متجهة نحو كرازة بالعفرون، فهاجمت قوات المقاومة الجيش الفرنسي، وكانت معركة شرسة دامت ساعتين، وبعد كر وفر انتهت بانسحاب قوات محمد بن علال واحتلال الفرنسيين لقمة العفرون، ففتح ذلك الطريق نحو المدية عبر ثنية موزاية التي حدثت بها معركة رهيبة أدت إلى التحام الجزائريين والفرنسيين بالسلاح الأبيض، ورغم استبسال رجال المقاومة إلا أن القوة النارية الفرنسية أدت إلى انسحاب قوات الأمير ففتح ذلك الطريق إلى مدينة المدية التي احتلتها القوات الفرنسية يوم 17 ماي 1840،[1] واتجه الأمير عبد القادر إلى مليانة، وحين وصوله إليها وجد سكانها وقد أصابهم الذعر إثر وصول أخبار سقوط مدينة المدية إليهم، وهم على وشك الجلاء عنها، فوقف عند مدخلها وسل سيفه وهدد أن يضرب به أول الخارجين منها، وبذلك توقف الرعب الذي ساد المدينة وعاد الناس إلى بيوتهم،[2] وبعد سقوط شرشال والمدية أخد فالي يستعد لتنفيذ المرحلة الثالثة من حملة الربيع وهي احتلال مدينة مليانة. [3]

أ.أ–دوافع الحملة الفرنسية على مليانة:

تحتل مليانة مكانة إستراتيجية في مقاومة الأمير عبد القادر، فهي بمثابة مركز أمامي لقربها من مدينة الجزائر مقر الجيوش الفرنسية، أضف إلى ذلك أنها مقر لمحمد بن علال الذي يعد أبرز خلفاء الأمير بشهادة العدو، ولم يكن بمقدور الفرنسيين تأمين سيطرتهم على متيجة وإقامة المستوطنات، ما لم يستولوا على مدينة مليانة، فما بالك إذا أرادوا التوغل جهة شلف، ومن هنا كانت مليانة تمثل لهم منطقة استراتيجية تتوقف عليها عملية التوسع إلى مناطق أخرى، وتضع باحتلالها قبائل ريغة وحجوطة بين فكي كماشة، وتقطع الإمدادات بينهما وبين أغاليك جندل، وتضع عدة طرق رئيسية تحت

---

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص276-307.

[2]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص243.

[3]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص312.

الإشراف المباشر للقوات الفرنسية في حال احتلالها ،[1] حيث يرى الاستعمار هذا الاحتلال كضرورة حيوية لربط مليانة بمدينة الجزائرشرقا و وهران غربا وبالتالي ربط الوسط بالغرب. [2]

أ.ب–استعدادات الحملة الفرنسية:

بدأت استعدادات الحملة الفرنسية بجمع أكبر قدر من المعلومات حول الطريق المؤدي إلى مليانة وهذا ما نجح في تحقيقه الضابط لاموريسيير بمساءلته لبعض الأهالي القاطنين بقرب حدود مقاطعة مليانة، ويذكر لنا الكولونيل هنري فابر ماسياسHenri fabre Massaise ذلك الحوار على النحو التالي:

–لاموريسيير: للذهاب من القليعة إلى مليانة من أين اتجه؟.

–أحد الأهالي: اتجه إلى الجنوب الغربي.

–لاموريسيير: كم تبلغ المسافة إلى مليانة؟. هل هي مثل المسافة بين القليعة والمعالمة؟.

–أحد الأهالي: لا، فهي تشبه المسافة التي تربط بين مدينة الجزائر وبن إبراهيم.

–لاموريسيير: هل يمكن لك أن تصف لنا أهم المعالم الطبيعية لطريق مليانة.

وقد تحصل لاموريسيير على وصف دقيق للطريق الذي يقود إلى مليانة.

وعلى إثر ذلك بدأت الاستعدادات الفرنسية بتكوين الحملة بتاريخ يوم 3 جوان 1840 بالبليدة، وكانت قيادتها العسكرية على الشكل التالي:

- **قائد الجيش**: الماريشال فالي Valée.
- **رئيس الأركان**: الجنرال شرام Scheramme.
- **نائب رئيس الأركان**: العقيد دوصالDe Salles ، ومعاونه المقدم لافاران Lavarenne .

[1]– ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص77–78.

[2] –Extrait du Spectateur Militaire : **Notes sur le Thêatre des operations Militaires dans le Centre de l'Algérie**, Imprimerie de Bour Gogne et Martinet, 1840, P18.

- **ضباط الأركان**: النقباء: سبيتزر Spiter، ديكريني De creny، رونو Renault، دوينجي De wengy.
- **مجموعة الطبوغرافيا**: دوسان Dessant، بوبلاي Boblaye، لوبري Lebris.
- **الإدارة**: إيشرEscher. [1]

أما توزيع القادة على تشكيلة قوات الحملة فهو كالآتي:

- **الفرقة الأولى**: تحت إمرة الجنرال هوداتوHoudetot ، وتتكون من:
- الزواف: كتيبتين.
- الرماة: كتيبة(1)
- 2 خفيف: كتيبتين.
- 24 خط: كتيبة (1)
- 23 خط: كتيبة(1)
- 17 خفيف: كتيبتين.
- **الفرقة الثانية**: تحت إمرة الكولونيل رامبوRambaud، وتتكون من:
- 3 خفيف: كتيبتين.
- اللفيف الأجنبي: كتيبتين.
- 1 خط: كتيبة (1)
- 48 خط: كتيبة (1)
- **الخيالة**: تحت إمرة الجنرال بلانكفورBlanquefort، وتتكون من:
- الفوج1: قناصة إفريقيا 600 خيال.
- دركي مور: 40.
- الفوج الأول للمشاة: 6 سرايا.

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص313.

- **المدفعية:** وتتكون من:
- 14 مدفع جبلي.
- 4 قطع مدفع 8.
- 2 قطع هاون عيار 84. [1]

وبذلك بلغ عدد الضباط 449، أما عدد الجنود 11008،[2] وبهذا أصبح تعداد القوات الفرنسية مجتمعة في هذه الحملة أكثر من 1500 مقاتل. [3]

ب- سير الحملة الفرنسية على مليانة 4 -9جوان 1840:

في 4 جوان 1840 انطلقت الحملة نحو حوش موزاية بعد أن عبرت وادي شفة وخيمت هناك، وفي اليوم الموالي 5 جوان وصلت إلى مداخل وطن بني مناد، أين خيمت بالقرب من مكان يدعى خروبة الوزري، وفي اليوم الموالي بدأت الحملة بالتوغل داخل أراضي هذه القبيلة، فحدثت مناوشات بينها وبين الجيش الفرنسي، فانتقم منها بحرق أكواخها وحقولها، واستمرت بالمسير إلى غاية نقطة التقاء واد جر، وواد الحمام،[4] وهناك شن رجال المقاومة هجوما مفاجئا أدى إلى مقتل وجرح عدد من الجنود الفرنسيين، من بينهم ضابطين الملازم فراش Freche من الزواف، وملازم آخر من الرماة،[5] واستمرت الحملة في التقدم، وفي يوم 7 جوان ومرورا عبر واد عدلية، ومن هناك عبر مرتفع القنطاس إلى غاية عين السلطان بوادي شلف أين تمركزت بوادي الزبوجة أحد روافد نهر شلف،[6] وكان رجال محمد بن علال من نظاميين والمتطوعين قد نصبوا كمينا عند وادي الزبوجة بالقرب من مقام سيدي عبد القادر الممر المؤدي إلى مليانة، أين دار اشتباك عنيف دام ساعتين، سقط خلاله

---

[1] -André Bloch : **Une Epopée Colonial Dramatique La Prise de Miliana 1840**, Maisonneuve et la Rose, Paris, 2003, P39-40.

[2]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص78.

[3]- André Bloch: **Op.cit**, p40.

[4] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P392.

[5]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص79.

[6] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P392.

عدد من الجنود الفرنسيين ورجال المقاومة الوطنية، إلا أن تعداد وعدة الحملة وتنظيمها ساعدها على صد هذا الهجوم، وانسحب محمد بن علال ورجاله نحو مليانة،[1] أما في يوم 08 جوان تقدمت القوات الفرنسية نحو مقام سيدي عبد القادر الذي يشرف على مدخل الممر الذي يؤدي نحو مليانة،[2] وفي هذه الأثناء وحفاظا على السكان المدنيين –الأهالي- أمر الأمير عبد القادر أهالي مدينة مليانة بإخلائها، فخرجوا منها حاملين ما استطاعوا حمله من أثاث وأمتعة،[3] وأشعل النيران في المدينة، حتى لا يستغلها العدو الفرنسي إن دخلها معتقدا أنه سوف يتركها،[4] وعندما تأكد للأمير بأن مليانة قد أصبحت خالية، وغير صالحة لشيء، انتقل إلى خارجها ينتظر القوات الفرنسية لمجابهتها ووزع قواته على الشكل التالي:

–غرب المدينة: كتيبة مشاة نظامية مع ثلاث مدافع.

– وادي شلف: القسم الأكبر من فرسانه.

– على المرتفعات: أقسام صغيرة من عناصر القبائل والفرسان. [5]

ب.أ– معركة أسوار مدينة مليانة:

في صباح 08 جوان وصلت مقدمة الجيش الفرنسي إلى مشارف مليانة، وأمر فالي ببدء الهجوم وقسم جيشه إلى مجموعتين، الأولى تتجه صوب المدينة،[6] والثانية تشكل الاحتياط، وتقدمت المجموعة الأولى نحو منطقة منبسطة في نصف الطريق بين سيدي عبد القادر ومليانة تعرف اليوم بزوقالة، وتتشكل هذه المجموعة من الفرقة الأولى التي قسمت على الشكل التالي:

– **اللواء الأول:** تحت قيادة الكولونيل شانغرنييهChangarnier، ويتكون من كتيبتين: 02 خفيف، وكتيبة 23 خط، وكتيبة 24 خط، وكلفت بالسير في الجهة اليمنى للطريق نحو مليانة.

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص369.

[2] –Changarnier: **Op.cit**, P107.

[3]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص316.

[4]– **نفسه**، 317.

[5]– André Bloch: **Op.cit**, p45.

[6]– ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص80.

- **اللواء الثاني:** تحت قيادة الكولونيل بيدو Bedau،[1] ويتكون من كتائب الزواف، وعلى رأسهم رونو، وكتيبة من رماة فانسانVencennes، إضافة إلى كتيبتن من 17 خفيف، وكلفت بالسير في الجهة اليسرى من الطريق نحو مليانة، وبدأت المجموعتين في الصعود والتقدم نحو المدينة، ورغم استماتة الخليفة محمد بن علال بقواته النظامية والمتطوعين في الدفاع عن مليانة، بإطلاق وابل من قذائف المدفعية، محاولين تشتيت قوى العدو حتى يسهل الانقضاض عليهم، فلم يفقد العدو إلا أربعة جنود، وجرح منهم 36جندي، لكن قوات العدو الفرنسي استطاعت التقدم والوصول إلى أسوار المدينة بفضل مدفعيتها المضادة،[2] ويصف الكولونيل هنري فابر اقتحام المدينة: "..**عند وصولي إلى باب المدينة وجدت هناك الجنرال هوداتو، والكولونيل شانغرنييه، والرائد لوفايو Levaillant، فقال لي الجنرال: نحن بحاجة إليك، فأمر ماكماهونMac mahon بتحديد لي موضع المدفعية وهدف القصف، الذي كان عبارة عن حائط من السور، فأمرت بإطلاق 25 قذيفة، فأحدث ذلك شرخا كبيرا في سور المدينة، كما أدى إلى فرار آخر رجال المقاومة الذين كانوا بداخلها من القصف المدفعي، وبذلك تسرب النقيب فورنيي Fournier مع مجموعته إلى داخل المدينة بين أسوار بساتينها، أما أنا والكولونيل شانغرنييه، وبعد إجراء جولة استطلاعية، رجعنا لنصب مخيمنا شمال المدينة بالقرب من المقبرة..**". [3]

---

[1]- **بيدو (ماري ألفونس)**: ولد بفرتون قرب نانت 19 أوت 1804، خريج مدرسة سانسير 1822، انتقل إلى الجزائر 1837، تقلد رتبة مقدم، شارك في احتلال قسنطينة 1837، أصيب بجروح في عملية احتلال شرشال مارس 1840. شارك في معركة ثنية موزاية 1840، شارك في معركة إيسلي 1844، تقلد رتبة لواء، قاد حملة ضد بجاية 1847، عين حاكما بالنيابة خلفا للدوق دومال. شارك في قمع الثورة الشعبية بباريس 1848، كان معارضا للانقلاب، ألقي عليه القبض 2 ديسمبر 1851، ثم أحيل على التقاعد، توفي في 29 أكتوبر 1863. أنظر بالتفصيل إلى

Narcisse Faucon: **OP.cit** , P 53- 55.

[2] -Henri Fabre Massias : **l'Algérie Souvenirs Militaires**, 2 émEdition, 1876, P105-106.

[3] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P393.

أما قوات الأمير فقد انسحبت شمالا باتجاه مدينة شرشال،[1] وبذلك تمكن الفرنسيون من احتلال المدينة يوم الثلاثاء 09 جوان 1840،[2] وعلى غرار شرشال، والمدية وجد الفرنسيون المدينة خالية من سكانها،[3] ولمدة ثلاثة أيام قام الماريشال فالي بأعمال إعادة تهيئة المدينة، وإعادة إصلاح ما دمرته المعارك وتحصينها بإقامة مراكز وأبراج مراقبة، وحفر خنادق خارج سور المدينة، كما قام بتحويل مسجد إلى مستشفى عسكري، وآخر إلى مخزن للمؤونة، وحولت المنازل إلى مراكز إيواء الجيش،[4] وبتاريخ 11 جوان 1840 شكل الماريشال فالي رسميا الحامية العسكرية تحت قيادة المقدم ديلانسD'illens[5] قوامها 1450 جندي وضابط،[6] تتكون من كتيبة 03 خفيف، وكتيبة من اللفيف الأجنبي، وسرية من سلاح الهندسة، و45 سدنة لخدمة خمسة مدافع للدفاع عنها وصد هجومات القبائل المحاصرة لها،[7] وفي اليوم الموالي 12 جوان همت القوات الفرنسية بالخروج من المدينة إلى البليدة عبر المدية، فاشتبكت قوات المقاومة الوطنية المتكونة من 2000 متطوع، وكتيبتين نظاميتين، و1500 فارس مع الفرقة الأولى بقيادة شانغرنييه،[8] فأدى هذا الهجوم إلى مقتل 11 جندي فرنسي، و88 جريح،[9] وبعدها اتجهت القوات الفرنسية شرقا باتجاه أربعاء جندل –جندل، وهناك قام فرسان المقاومة الوطنية بمهاجمة القوات الفرنسية، فأسفر عن مقتل 14جندي وجرح

---

[1]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص80.

[2] -Arséne Berteuil: **l'Algérie Française**. **Histoire–Mours– Coutumes–Industrie–Agriculture**, T2, Dentu , Librairie-Editeur, Paris, 1856, P132.

[3] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P39.4

[4]- André Bloch: **Op.cit**, p48.

[5] -Changarnier: **Op.cit**, P108.

[6]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص318.

[7] -Changarnier: **Op.cit**, P108.

[8]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص81.

[9] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P394-395.

100، فانتقم الجيش الفرنسي من السكان المحليين بحرق حقولهم ومحاصيلهم، وفي اليوم الموالي 13 جوان اجتازت القوات الفرنسية إلى وامري الواقعة بمقاطعة المدية. [1]

وفي 15 جوان تعرضت قوات الحامية الفرنسية لهجوم المقاومة الوطنية،[2] بحيث حاصر رجال المقاومة مليانة من كل جهة وشكلوا ثلاثة صفوف مدعمة ببعض الكتائب النظامية، وبدأت بالهجوم على القناصة الفرنسيين الذين كانوا يحرصون عمال أشغال جهة باب وهران، وبدأ آخرون بتسلق الأسوار، إلا أن سلاح اللفيف الأجنبي وقناصة إفريقيا بقيادة النقيب فيراريFérari استطاعوا صد هذا الهجوم، وتراجع رجال المقاومة بعد أن فقد الفرنسيون جندي –جروGros– من القناصة من الفيلق الثالث خفيف، وضابطي صف–غونزاليسGonzalez وميشالMichel–،[3] وحسب بيليسيي فإن خسائر المقاومة الوطنية بلغت 20 بين قتيل ومقبوض عليه. [4]

ب.ب– محاصرة الحامية الفرنسية بمليانة:

حصن الفرنسيون وضعهم العسكري باحتلالهم مدينة مليانة، الأمر الذي أوجد مشكلة في تموين هذا المركز، وأصبح الوضع دقيقا وخطيرا إلى حدج أن القوافل المعدة لهذه الغاية، كانت تلاقي صعوبات كثيرة أثناء تنقلاتها، وتتعرض لهجمات متلاحقة من قوات المقاومة الوطنية بقيادة خليفة الأمير محمد بن علال،[5] فمنذ سقوط مليانة 09 جوان باشرت قوات الأمير بقيادة محمد بن علال وقبائل ريغة، وحجوطة، وعدلية، حربا استنزافية وحصارا خانقا على الحامية الفرنسية دام قرابة 05 أشهر، مع تنفيذ هجمات خاطفة ومفاجئة هدفها استنزاف قدرات العدو البشرية والمادية وعدم إعطائه الفرصة لاستكمال التحصينات حول المدينة، وفي نفس الوقت منعه من التموين بالمواد الغذائية،[6] هذا ما دفع الماريشال فالي إلى أمر شانغرنييه إلى قيادة قافلة مؤن إلى حامية مليانة التي

---

[1] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P397.

[2]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص82.

[3] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P397.

[4]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص83.

[5] -Changarnier: **Op.cit**, P125-130.

[6]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص84.

وصلتها يوم 23 جوان، وقد كلف ذلك الجيش الفرنسي اشتباكات مع المقاومة الوطنية، هاجمتهم يوم 23 عند ممر مليانة وهناك استطاع قائد كتيبة 24 خط الكولونيل جانتيل التصدي لهذا الهجوم، وفي اليوم الموالي 24 جوان وبينما قافلة الجيش الفرنسي بقيادة شانغرنييه عائدة إلى البليدة هاجمته المقاومة الوطنية مرتين على التوالي، لكنها انسحبن بسبب القصف المدفعي الفرنسي الذي خلف خسائر كبيرة في صفوفها،[1] وبقيت الأمور على حالها بالنسبة للحامية الفرنسية بحيث رجع رجال المقاومة وضيقوا عليها الحصار وهاجموا أبراج المراقبة، والمراكز المتقدمة في المدينة حتى لم يعد باستطاعة جند الحامية الفرنسية إخراج قطعانهم للرعي. [2]

وكان شهر جويلية أكثر الشهور تأثيرا على الحامية العسكرية الفرنسية، وهذا بسبب ارتفاع درجة الحرارة والتي بلغت 58 درجة مئوية، بسبب هبوب رياح السيروكو الحارة، والتي دام هبوبها مدة 25 يوم على التوالي، فتفشت الأمراض بشكل سريع خاصة الحمى، كما تعرضت الحامية إلى المجاعة، حيث شحت المواد الغذائية وعلى رأسها الخبز بسبب فساد الطحين وموت الخبازين بالمرض، ولم يعد هناك لحم وحبوب في مخازن المؤونة، فزاد ذلك من سوء صحة الجنود، وامتلأ المستشفى عن آخره بالجنود والضباط على حد السواء. [3]

ونتيجة لهذا الوضع بدأ اليأس يتسرب إلى الجنود الفرنسيين وخاصة جنود اللفيف الأجنبي، حيث شهدت كتيبتهم عملية فرار للجنود أيام 13 و14 و28 جويلية، والتحقوا كلهم بقوات المقاومة الوطنية بقيادة محمد بن علال، الذي أمر بتسريب رسائل تحريضية ومشجعة للفرار، بلغات مختلفة للحامية بعد أن يقوم هؤلاء الفارون بكتابتها، هذا دليل على أن المقاومة كانت تمارس الحرب النفسية

---

[1] -Louis Veuillot: **Les Français en Algérie-souvenir d'un Voyage fait en 1841**, 2[ém]Edition, A[d]Mame et c[ie], Imprimeur- libraires, Tours, 1847, PP30-33.

[2]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص84-85.

[3]- Louis Veuillot: **Op.cit**, P36.

والدعائية ضد العدو الفرنسي،[1] وبلغ عدد الفارين من الحامية المحاصرة 25 جندي كلهم من اللفيف الأجنبي. [2]

ولتخفيف الوضع قام ديلانس بإنشاء فرقة موسيقية بهدف إقامة حفلتين ترفيهيتين في الأسبوع للجند، لكن المرض أقعد عناصرها وشل عملها،[3] وأمام هذا الوضع المزري كلف قائد الحامية ديلانس أحد عمال الأمير عبد القادر الفارين من تاكدمت ويدعى جياكومو مارتيني Giacomo Martini الملقب بعبد الله بالتسلل خارج أسوار المدينة والتوجه إلى مقر الحاكم العام فالي بمدينة الجزائر لطلب النجدة، وانطلق صباح 18 أوت ونفذ المهمة،[4] حيث وصل إلى مقر الحاكم العام وأعطاه رسالة من ديلانس، كما أنه بين الوضع القائم في مليانة،[5] فاستدعى ذلك خروج يوم 2 أكتوبر قافلة تموين جديدة بقيادة شانغرنييه ودخل إلى مليانة يوم 04 من الشهر نفسه، حيث وجد وضع الحامية في وضع سيء للغاية، فعبر قائلا في ذلك: "...**حالة القوات كان محزنا، فنصف الحامية دفن، والربع منها في المستشفى، أما البقية لا يتحركون، ولا يستطيعون الدفاع عن الأسوار، ومن حسن حظهم أن العدو –** قوات المقاومة**– لم تهاجم بسبب قلة معلوماتها حول هذا الوضع...**"، وأضاف قائلا: "...**لو تأخرت لبضعة أيام أخرى فلن أجد من الحامية من يفتح لي أبواب المدينة...**". [6]

ويؤكد ذلك أحد جنود الزواف قائلا: "..**لازلت أتذكر يوم 04 أكتوبر حين دخل الجنرال شانغرنييه إلى المدينة، حينها ارتمى قائد الحامية ديلانس بين يديه قائلا: دخلنا هنا في 1200**

---

[1]- Louis Veuillot: **Op.cit**, P32.

[2]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص327.

[3] -Changarnier: **Op.cit**, P158.

[4] -**Ibidem**, P167.

[5] -F. Andry : **l'Algérie Promenade Historique et Topographique**, Librairie de J.le Fort Imprimeur, Editeur, Paris, S.D, P110.

[6]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص88.

رجل، ولم يبقى منا سوى 400..". [1]

إن هذا الوصف لشاهد على شدة الحصار والجهود التي بدلها رجال المقاومة الوطنية من أجل استرجاع مدينة مليانة،[2] وفي طريق عودة الحملة التموينية إلى مراكزها بالبليدة يوم 06 أكتوبر هاجمها رجال المقاومة في كل من واد جر وخروبة الوزري، وألحقوا بها خسائر فادحة قدرت بـ 42 قتيل و260 جريح،[3] وتحسبا لأي طارئ جديد خرج الجيش الفرنسي في حملة تموين جديدة، ودخل مليانة بتاريخ 08 نوفمبر، فزود الحامية بتموين لمدة 06 أشهر، وفي طريق العودة إلى البليدة يوم 09 نوفمبر قام الفرنسيون بعملية تخريب في أراضي قبائل ريغة، وفي اليوم الموالي نفس العملية ضد بني مناد، لكن رد بعض رجال المقاومة أدى إلى مقتل الملازم هاركوتD'Harcourt. [4]

وما زاد الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للمقاومة الوطنية هو تولي بوجوBugeaud منصب حاكم عام الجزائر يوم 22 فيفري 1841 خلفا للماريشال فالي،[5] وكان يسعى إلى احتلال الجزائر عسكريا وبصورة نهائية، عبر مخطط يتكون من ثلاثة مراحل:

- **المرحلة الأولى**: السيطرة على الساحل الجزائري وإنشاء قواعد رئيسية على طوله، تكون بمثابة مراكز انطلاق للقيام بحملات عسكرية وربط جميع الموانئ عن طريق البر من جهة، وللوصول إلى الداخل الجزائري من غير عائق من جهة أخرى.
- **المرحلة الثانية**: احتلال منطقة التل مهما كانت الصعاب وتركيز قوات كافية لحمايتها من الهجمات الجزائرية، وأهم هذه المراكز هي المدية، ومليانة ثم معسكر، وتاكدامت، وتلمسان.
- **المرحلة الثالثة**: إنشاء مراكز متقدمة في أقصى الجنوب لمراقبة الأمير،[6] فافتتح عهده بمحاولة

---

[1] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P408.

[2] -**Ibidem**, P410.

[3]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص247.

[4]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص346-347.

[5]- هنري تشرشل: **مصدر سابق**، ص249.

[6] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P451-453.

تموين مدينة المدية ومليانة،[1] وكانت القوات مكونة من لوائين، اللواء الأول بقيادة دونمور Duc de Nemours، واللواء الثاني بقيادة براغوي هيليي Braguay Hilliers وانطلقت هذه الحملة نحو مليانة بتاريخ 01 ماي1841، وفي طريقها أمر بوجو بقطع جميع أشجار الفاكهة، وخيمت على سفح جبل القونطاس، وفي اليوم الموالي 02 ماي وبينما قافلة التموين متجهة نحو ممر مليانة شن المقاومون هجوما شاملا وسريعا،[2] فاشتد القتال ولم يسع الجنرال بوجو إلا الانسحاب بجيشه نحو مليانة، مخلفا وراءه الكثير من القتلى والجرحى والذخائر، فكانت هزيمتهم هزيمة نكراء،[3] وكان آخر تموين لمليانة يوم 29 ماي 1841 حينما وصل الجنرال براغواي ووضع بها 100 ألف حصة من الأرز، و50 ألف خرطوشة من الذخيرة، وكانت الحامية في أحسن حالاتها لأن حامية مليانة لم تهاجم منذ عملية التموين الأخيرة،[4] وبداية من هذه الحملة التموينية الأخيرة أصبحت مليانة مركزا من مراكز التموين الموزعة بطريقة تسمح للوحدات الفرنسية المقاتلة بأخذ حاجاتها من المؤن من غير العودة إلى ثكناتها،[5] كما أنها أصبحت مركز انطلاق للحملات التوسعية في سائر المقاطعة، وبذلك كانت نهاية إحدى الفصول من فصول المقاومة الوطنية ضد المحتل الفرنسي. [6]

ب.ج–نتائج الحملة الفرنسية على مدينة مليانة:

إن انتقال الاحتلال الفرنسي من مرحلة الاستعمار الضيق إلى مرحلة الاستعمار الشامل، كان هدفه القضاء على مقاومة الأمير عبدالقادر ودولته، وتثبيت الاستيطان الفرنسي في أهم المدن الجزائرية منها مدينة مليانة التي احتلها سنة 1840، وقد ترتب عن ذلك عدة نتائج أهمها:

–فقدان المقاومة الوطنية لإحدى أهم قلاعها.

– فقدان الأمير عبدالقادر لأهم مقاطعة استراتيجية من الناحية العسكرية والاقتصادية في دولته.

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري: **مصدر سابق**، ج1، ص394.

[2] -Pellissier de Reynaud: **Op.cit**, T2, N.E, P469.

[3]– أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص360.

[4]– العربي الزبيري: **مرجع سابق**، ص141.

[5] -Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p146-147.

[6]-Alex Bellemare : **Op.cit**, p289.

– اضطرار خليفة مليانة محمد بن علال اللجوء إلى المناطق الجنوبية لمقاطعته بجبال الونشريس لمواصلة المقاومة

– مقتل 1380 جندي من الحامية الفرنسية من أصل 1440 جندي نتيجة هجومات المقاومة وحصرها الشديد لأسوارها، مما أدى إلى انقطاع الاتصالات بين الفرنسيين وشح المواد الغذائية، فظهرت المجاعة والامراض التي فتكت بجنود الحامية. [1]

– تدنيس الفرنسيين للمعالم الفرنسية خاصة المساجد، حيث قام ديلانس قائد الحامية الفرنسية بتحويل مسجد إلى ثكنة وآخر إلى مخزن للمواد الغذائية. [2]

– في إطار سياسة التوسع والحرب الشاملة، اتخذ الجنرال بوجو مدينة مليانة نقطة ارتكاز فزودها بقوات كثيرة ليس لحماية المدينة وحاميتها بل للتضييق على رجال المقاومة وجيش الأمير عبدالقادر،[3] ولتحقيق هذا الهدف عين الرائد سانت أرنو قائدا للحامية العسكرية بمليانة جوان 1842 وتحت إمرته ثلاث فيالق وستين فارس ورجال مدفعية ومهندسين عسكريين. [4]

– فقدت مليانة معظم معالمها الإسلامية–خاصة قصبتها– نتيجة التغييرات التي أحدثها حاكمها العسكري سانت أرنو بحجة إعادة البناء فيها. [5]

– أصبحت مدينة مليانة مركز عمليات وتموين رئيسية بالنسبة للجيش الفرنسي،[6] ففي رسالة وجهها سانت آرنو إلى أخيه بتاريخ 03ديسمبر 1842 جاء فيها:« ...إن بوجو يقود حملة ومناورات بجبال الونشريس فبعث له بإمدادات تتكون من 456 حصان وبغل و72 جمل محملة بالمؤونة. [7]

1- Changarnier: **Op.cit**, P173.

2- André Bloch: **Op.cit**, p56.

3- Alex Bellemare : **Op.cit**, p274.

4- M.Saint –Beuve : **Lettres du Maréchal de Saint –Arneaud1832-1854**, Ed2, T1, Michèl Lévy Frères, Libraires- Editeurs, Paris, 1858, P395-396.

5- **Ibidem**, P401-402.

6- **Ibidem**, P492.

7- **Ibidem**, P448.

– أصبحت حامية مليانة من أهم الحاميات العسكرية التي من خلالها تم اخضاع باقي قبائل المقاطعة مما أهلها أن تكون كمونة –Commune– بموجب قرار 10 جويلية 1851.[1]

ج– إستشهاد محمد بن علال:

بعد سقوط مدينة مليانة عاصمة خاليفليك مليانة، وتوالي سلسلة خضوع واستسلام قبائل الآغاليك كقبيلة موزاية، وبني مناد، وسوماتة، وجندل، وأولاد عياد، دفع ذلك بالخليفة محمد بن علال وما تبقى له من قوات اتخاذ جبال الونشريس ملاذا من خلاله يمكن له القيام بعملياته العسكرية ضد الفرنسيين في سهل شلف وحتى متيجة،[2] ونتيجة للوضعية السيئة التي أصبح يعاني منها الأمير بسبب نقص المؤونة والذخائر، قرر نقل عاصمته المتنقلة الزمالة بالقرب من الحدود المغربية، ولتحقيق ذلك استدعى إليه محمد بن علال مع قواته، واستطاع الفرنسيون معرفة طبيعة مشروع الأمير بفضل خيانة أحد جنوده الفارين، فكلف الماريشال بوجو الجنرال تامبور Tempoureبقيادة سرية 4 وملاحقة محمد بن علال بن مبارك حتى لا يلحق بالأمير، فانطلق يوم 06 نوفمبر 1843 من معسكر ليصل يوم 09 إلى منطقة عاصي الكرمة، وهناك جاءه أحد الجنود الفارين من جيش محمد بن علال ليخبره باتجاه وموقع محمد بن علال مقابل تجنيده في فرقة الصبايحية، فأقر بأن محمد بن علال قد خرج من تمسارت القريبة من الجرف القبلي متجها نحو الغرب للالتحاق بالأمير في منطقة الغور جنوب تلمسان، وبدأ بمطاردة قوات محمد بن علال بالانطلاق من عاصي الكرمة في الساعة الأولى من 10 نوفمبر 1843، وبلغ تعدادها 800 جندي من المشاة، و03 قطع مدفعية، و450 خيال من فوج قناصة 2و 4 و50 من الصبايحية، و30 فارس من الأهالي، ووصل يوم 10 على

---

[1]–Victor Berard : **Indicateur Général de l'Algérie ou description Géographique**, **Historique et Statistique de toutes les Localités**, Ed2, Bastide Libraire–Editeur, Alger, 1885, P285.

[2] –L'Abbé Barrére : **Le Général de Tartas et Récit des Expéditions Militaires en Afrique d'après sa correspondance et d'après le Témoignage des Documents Officiels et de plusieurs de ses Compagnons d'Armes Dédié a l'Armée d'Afrique**, Dentu, Libraire– Editeur, Paris, 1860, P97–101.

الساعة التاسعة صباحا إلى تمسارت، أين وجد بقايا تخييم محمد بن علال، وأكمل المسير إلى حين وصل إلى عين بوشقارة أين تقفى أثر تخييم بن علال من جديد، وتأكد من ذلك بعدما جيئ بشخصين من قبيلة الجعافرة، وتحت التهديد بوضع فوهة البندقية على رؤوسهم فأقرا بأن قوات محمد بن علال قد خيمت البارحة بالقرب من واد الخشابة، الذي يبعد 05 فراسخ عن بوشقارة، وأنه كان موجودا بها حتى الساعة التاسعة صباحا يوم 10، فانطلق وراء قوات محمد بن علال مع الساعة الأولى ليوم 11 نوفمبر رغم سوء الأحوال الجوية، التي أعاقت كثيرا تقدم محمد بن علال، وفي صبيحة يوم 11 نوفمبر1843، وبالضبط على الساعة الحادية عشر لاحظ كشافة الجيش الفرنسي دخانا متصاعدا من سهل وادي المالح، الذي تحده جبال الكاف الصخرية،[1] ولمواجهة هذا الوضع الطارئ لجأ الجنرال تامبور فورا إلى توزيع قواته: الفرسان بإمرة العقيد ترتاسTartas، وقد قسموا إلى ثلاثة أرتال بمعدل سريتين لكل رتل.

- قوة احتياطية من سريتين ركزت وراء رتل الوسط.
- 350 مقاتل وسرية مدفع جبلي بإمرة العقيد روغة Roguetمن الفرقة 41 وزعوا وراء القوة الاحتياطية.
- القافلة بإمرة المقدم بوسكBosc، وقد كلف لحمايتها 250 جنديا من المشاة.

أما محمد بن علال قام بجمع عناصره وتأهب للرحيل وبعد أن أكمل استعداداته قسم قواته إلى كتيبتين وسار بهما في سهل ضيق وصغير، ولما وصل إلى وسط السهل شعر ابن علال بأن اجتيازه أمر دقيق وصعب، فالمسافة إلى التلة الصخرية تستغرق منه وقتا طويلا، وقد تمكن الفرنسيون من الانقضاض على قواته بسهولة، ورغم ذلك حاول متابعة سيره، لكنه ما لبث أن سار قليلا حتى أدرك خطورة خطوته، فتوقف عن التقدم متخذا مكانه الحالي موقعا دفاعيا للرد على الهجمات الفرنسية المرتقبة، وبالفعل أسرعت مقدمة الجيش الفرنسي المكونة من فرسان الجنرال ترتاس، وأحاطت الجزائريين من جميع الجهات، ونشبت معركة رهيبة، ودعم هذا الهجوم الفرنسي فرقة المشاة، فأدى

[1]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص448-449.

ذلك إلى السيطرة الفرنسية المطلقة على ساحة القتال. [1]

لقد خلف الهجوم استشهاد 500 مقاتل جزائري، من بينهم قائدي الكتيبتين-رائد-، و18 سياف –نقيب-، وأسر 364، في حين غنم الفرنسيون 3 رايات، و600 بندقية، وسيوف وكثير من المسدسات، و50 حصانا، وقطيع من الدواب. [2]

حاول ابن علال التراجع مع بعض قواته حتى لا تطوقه القوات الفرنسية لكنه قرر الرجوع والدفاع عن موقعه،[3] وتظاهر بالاستسلام حيث حمل بندقيته بطريقة معكوسة في إشارة إلى الاستسلام، وما إن اقترب منه لابوسايLaboussay ضابط صف في الجيش الفرنسي، حتى أفرغ رصاصاها في صدره فقتله، ثم أطلق النار على النقيب كاسينيولCassaignolles ولم يصبه وأصاب حصانه الذي قتل على الفور، وفي نفس الوقت تقدم الضابط سيكو Sicotمن محمد بن علال ووجه له ضربة بالسيف على رأسه، فأصابه لكن هذا الأخير واجهه بتوجيه طلقة على ذراعه، فاستغل الضابط جيرارد Gérard إصابة محمد بن علال، وأطلق من مسدسه النار على صدر بن علال فقتله.

وقد قدرت الخسائر الفرنسية في هذا الهجوم حسب المصادر الفرنسية قتيل واحد، و08 جرحى،[4] وحتى يقتنع الجزائريون بمقتل محمد بن علال قطعت رأسه، ورفعت فوق سن رمح حتى تراها جميع القبائل التي تمر بها الحملة،[5] ثم أخذ إلى مليانة أين عرضت في ساحة المدينة،[6] ثم نقل جثمانه إلى مدينة القليعة أين دفن بزاوية ابن مبارك، وهذا تحت التحية العسكرية الفرنسية بتقديمها السلاح له وهذا تقديرا لشجاعته. [7]

---

[1]- L'Abbé Barrére : **Op.cit**, p103.

[2]- أديب حرب: **مرجع سابق**، ج2، ص504.

[3] -Quesnoy.f : **Op.cit**, p207-208.

[4]- L'Abbé Barrére : **Op.cit**, p106.

[5]- ابن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص88.

[6] -Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p30.

[7] -Ben Allel et Chevassus-au-Louis : **Op.cit**, p31.

خاتمة

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر وبالرغم مما ألحقه بها أرضا وشعبا من سياسة تقتيل وتهجير قصري، واستيلاء على أراضيه وتفكيك بنيته الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنه ساهم بطريقة غير مباشرة في بناء الفكر الوطني الجزائري، الذي سيكون منطلق بناء الدولة الجزائرية الحديثة، فبسياسته المعتمدة السابقة الذكر دفع الشعب الجزائري إلى التوحد تحت راية المقاومة الوطنية التي قادها الأمير عبد القادر، معتمدا في ذلك على أبناء وطنه، وإمكانيات بلده، فحاول بناء دولة حديثة منظمة، فاعتمد في ذلك على التنظيمات الإدارية السابقة في العهد العثماني مع إحداث تغييرات كبيرة فيها، ونتيجة هذه التنظيمات أصبحت مليانة مقاطعة من مقاطعات دولته عاصمتها مدينة مليانة، وانعكست عليها بالشكل التالي:

- شهدت مليانة استقرارا سياسيا وأمنيا ما بين 1835 و1840م.
- أصبحت مليانة منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر بؤرة من بؤر المقاومة الوطنية سياسيا وعسكريا.
- شاركت مليانة في بناء الجيش النظامي لدولة الأمير كما كانت مصدر مهم للمتطوعين من المشاة والفرسان في صفوف المقاومة الوطنية.
- شهدت مليانة تطورا اقتصاديا ملحوظا بحيث تطورت الصناعة الحرفية فيها كحرفة الخياطة وحرفة صناعة السروج وحرفة الحدادة وحرفة صيانة الأسلحة الحربية وتصليحها، الأمر الذي مهد إلى ظهور الصناعة الحربية بها، والتي تمثلت في مصنع الأسلحة الضرورية للمقاومة الوطنية.
- ساهم أهالي مليانة مساهمة فعالة في المقاومة الوطنية تحت قيادة عائلة بن مبارك، والمتمثلة في شخص الحاج محي الدين الصغير المدفون بها، والشهيد محمد بن علال.
- إن دور مليانة في المقاومة واستراتيجية موقعها، وقربه من متيجة مركز تموقع مراكز العدو الفرنسي، ضف إلى ذلك تحكمها في الطريق الرابط بين مدينة الجزائر ومدينة وهران عبر سهل

شلف جعلها هدفا مباشرا للسياسة التوسعية الاستعمارية الفرنسية التي انتقلت من مرحلة الاستعمار الضيق إلى مرحلة الاستعمار الشامل.

- بعد سقوط مدينة مليانة 1840 وإخضاع مقاطعتها أصبحت مركزا إستراتيجيا للجيش الفرنسي من خلالها ينطلق إلى المناطق الأخرى كتنس، والظهرة، والونشريس، ومعسكر.

وبفقدان الأمير عبد القادر والمقاومة الوطنية لمدينة مليانة وخليفتها محمد بن علال فقدا سندا قويا ممل سرع في إنهاء المقاومة الوطنية وزوال دولة الأمير، فاستطاع من خلال ذلك الاستعمار الفرنسي بسط نفوذه والسيطرة على وسط البلاد.

قائمة الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم.

أ-المخطوطات:

- بن يوسف أحمد: **رسالة في الرقص والتصفيق والذكر والأشواق**، مخطوط بالخزانة العامة-الرباط، المغرب، رقم2792.
- الحاج موسى علي بن أحمد: **ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة إلى الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف دخيل مليانة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم928.
- الصباغ أبو عبدالله بن محمد بن علي القلعي: **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيدي النسب والدار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم 1707.

ب-المصادر المطبوعة:

- أبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، م1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد- مصر، دت.
- ابن بطوطة أبو عبد الله محمّد الطنجي اللواتي : **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1964.
- ابن محشرة أبو الفضل جعفر: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، طبعة عبد الحميد زغلول، مصر، 1958.
- ابن خلدون يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد**، م2، مطبعة بيرفونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

- ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6+7 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2000.

-الأشرف مصطفى: **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، م.و.ك، الجزائر، 1983.

- البكري أبي عبيد: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الاسلامي**، القاهرة، دت.

- بن رويلة قدور: **وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى**، تق وتح: محمد عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968.

- بربروس خيرالدين: **مذكرات خيرالدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

-الجزائري محمد عبد القادر: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ط2، ج1، تع: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1964.

- الوزان الفاسي الحسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983.

- الحِميري محمد بن عبدالمنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط1 مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

- الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ط2،ج1-5، دار الجبل، بيروت، 1988.

- حرب أديب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847**، ط3، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007.

- الكولونيل إسكوت: **مذكرات الكولونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، تر وتع: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

- كربخال مارمول: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط- المغرب، 1988-1989.

- **مذكرات الأمير عبد القادر**، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تح: محمد الصغير بناني وآخرون، ط7، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى–الدولة السعدية–**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصر، ج5-9، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1955.
- النصيبي ابن حوقل: **كتاب صورة الارض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1996.
- مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
- العبدري محمد البلنسي: **الرحلة المغربية**، تق: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة- الجزائر، 2007.
- الفاسي علي ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المغرب، 1972.
- الشريف ابن مريم المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- التنبكتي أحمد بابا : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبدالحميد عبدالله الهرامة، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 1989.
- تشرشل شارل هنري: **حياة الأمير عبد القادر**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ودار الرائد، الجزائر، 2009.
- خوجة جمدان بن عثمان: **المرآة**، تق وتح: محمد العربي الزبيري، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.
- الغبريني أبو العباس: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت –لبنان، 1979.

ج-المراجع:

- بوحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، ط1، د.غ.إ، بيروت(لبنان)، 1997.

- بن يوسف عباس كبير: **مليانة**، طبع الوكالة الوطنية للآثار وحماية المواقع والمباني الأثرية، الجزائر، 2000.

- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ المدن الثلاث الجزائر- لمدية- مليانة**، ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الأبيار-الجزائر، 1972.

- دراج محمد: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- الزبيري محمد العربي: **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

- حاج صادق محمد: **مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف (دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر)**، د.م.ج، بن عكنون-الجزائر، 1964.

- الميلي مبارك بن محمد الهلالي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

- النجمي عبد الله: **التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق16-17)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط-المغرب، 2000.

- سعدالله أبوالقاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- سعدالله أبوالقاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- سعيدوني ناصر الدين: **الجزائر في التاريخ –العهد العثماني–**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- العربي إسماعيل: سماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

د–المجلات والجرائد:

- بورويبة رشيد: "القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر"، **مجلة الثقافة**، ع.خ بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، 2009.

- بلحميسي مولاي: "مدينة مليانة عبر العصور"، **مجلة الأصالة**، ع8، ماي–جوان1972.

- العربي إسماعيل:"سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب–خلفياتها ونتائجها"، **مجلة التاريخ**، م.و.د.ت، الجزائر، ع6، جويلية 1978.

- قداش محفوظ: "جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته"، **مجلة الثقافة**، ع.خ بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، 2009.

- التميمي عبدالجيل:"مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة1831"، **مجلة الأصالة**، ع32، أبريل1976.

هـ–الرسائل الجامعية:

- تلمساني بن يوسف: **التوسع الفرنسي في الجزائر 1830–1870**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2004-2005.

و– الموسوعات والمعاجم:

- إدريسي عبدالرحمان أحمد: **أطلس الجزائر والعالم طبيعيا– بشريا– اقتصاديا– سياسيا**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2011.

- الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، ج5، دار صادر، بيروت، 1977.

-حساني المختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية –مدن الوسط–**، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- الحفناوي أبو القاسم محمد: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

- مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت –لبنان، 1983.

ز–الوثائق الإلكترونية:

-**تاريخ الجزائر1830–1962**: قرص مضغوط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.ت.

2–المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أ–المصادر المطبوعة:

-Andry. F : **l'Algérie Promenade Historique et Topographique**, Librairie de J.le Fort Imprimeur, Editeur, Paris, S.D.

-Barrére L'Abbé : **Le Général de Tartas et Récit des Expiditions Militaires en Afrique d'après sa correspondance et d'après le Témoignage des Documents Officiels et de plusieurs de ses Compagnons d'Armes Dédié a l'Armée d'Afrique**, Dentu, Libraire- Editeur, Paris, 1860.

-Bellemare Alex : **Abd–El–Kader sa vie Politique et Militaire**, Librairie de L. Hachette et Cie, Pris, 1863.

- Beuve M.Saint : **Lettres du Maréchal de Saint –Arneaud1832–1854**, Ed2, T1, Michèl Lévy Frères, Libraires- Editeurs, Paris, 1858.

-Berteuil Arséne: **l'Algérie Française**. **Histoire–Mours–Coutumes– Industrie–Agriculture**, T2, Dentu , Librairie-Editeur, Paris, 1856.

- Bonnafont : **Douze Ans en Algérie 1830 à 1842**, E. Dentu, Editeur, libraire da la société des gens de lettres, Paris, 1880.

-Carpentier, P :**Le Duc de Rovigo et Pichon** , imprimerie de-David , Paris 1852.

-De Haëdo Diego: **Topographie et Histoire Géneral d'Alger**, Tr : Monnerau et A.Berbugger, S.E, 1870.

-De Haëdo Diego: **Histoire des Rois d'Alger**, Tr: H-D. De Grammont, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger, 1881.

-D'estre Henry: **Mémoires du général Changarnier**, Editions Berger- levrault- , Paris, 1930.

- Dumas. A : **Histoire du 2^{ém} régiment d'infantrie légére**, Armée Française, imprimé par Béthune et plon, Paris, 1845.

- Extrait du Spectateur Militaire : **Notes sur le Thêatre des operations Militaires dans le Centre de l'Algérie**, Imprimerie de Bour Gogne et Martinet, 1840.

- Faucon Narcisse : **Livre d'or de l'Algérie**,Tome 1 challamel , Paris 1889.

-Quesnoy. F : **l'Armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger**, Libraire Furne, Jouvet et cie Editeurs, Paris, S.D.

- Mercier Ernest: **Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus Reculés j'usquà la Conquête Française 1830**, T3, Ernest leroux Editeur, Paris, 1868.

- Massias Henri Fabre : **l'Algérie Souvenirs Militaires**, 2 émEdition, 1876.

- Pellissier de Reynaud : **Annales Algériennes**, T2, nouvelle édition, Librairie Bastide, Alger, 1854.

-Ricque Camille : **Milianah**, Libraire de l'istitut.de la Bibliothèque Impérial et du sénat, Paris, 1865.

-Rinn Louis : **Marabouts et Khouans**, Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1884.

-Roches Léon : **Trente –Deux Ans Atravers l'Islam(1832–1864) Algérie–Abd–El–kader**, T, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1884.

-Rozet et Carette: **L'Algérie**, **Firmin Didot Frères**, Editeurs Imprimeurs de l'Institut, Paris, 1850.

-Shaw Thomas: **Voyage dans la régence d'Alger**, tr : J.Mac Carthy, E2, Editions bouslama, Tunis, S.D.

-Trumelet. C: **Bou–Farik**, Ed2, Adolphe Jourdan, Librairie- Éditeur, Alger, 1887.

-Veuillot Louis: **Les Français en Algérie-souvenir d'un Voyage fait en 1841**, 2émEdition, AdMame et cie, Imprimeur- libraires, Tours, 1847.

ب-المراجع:

-Ben Allel Ahmed Mebarek et Chevassus-au-Louis Nicolas: **La tête dans un sac de cuir**, Pr :Ahmed Djebar, Edition de Tell , Blida, 2011.

- Berard Victor : **Indicateur Général de l'Algérie ou description Géographique**, **Historique et Statistique de toutes les Localités**, Ed2, Bastide Libraire-Editeur, Alger, 1885.

-Bloch André : **Une Epopée Colonial Dramatique La Prise de Miliana 1840**, Maisonneuve et la Rose, Paris, 2003.

-Gsell Stephane: **Atlas Archéologique de l'Algerie**, T1, E2, Edition Alger, Alger, 1997.

-Julien Charle André : **Histoire de l'Algérie Contemporaine-la Conquête et les Debuts de le Colonisation** (**1827-1871**), Casbah Editions, Alger, 2005.

-Maspero François: **l'Honneur de Saint-Arnaud**, Cassba éditions, Algérie, 2004.

-Yacono Xavier : **la colonisation des plaines du Chelef de la Vigerie au confluent de la Mina**, T1, Imprimerie.E.Imbert, Alger, 1955.

-Yver Gerges : **Rapporte et Entrevues Inédits sur l'Émir Abdelkader-Les Correspondances du Capitaine Daumas**

Consul de France à Mascara 1837-1839, Pr : Mahfoud Smati, El Maarifa, Alger, 2008.

ج-الجرائد والمجلات:

-Berbrugger : Sur Miliana, Ses Antiquités, ETC, D'après M.Le Docteur Lebrun", **R.A**, n°08, 1864.

-Bodin(M) : Note et Question sur Sidi Ahmed Benyoucef, **R.A**, n°66, 1925.

-Deparadis Venture: "Alger au XVIII Siecle", **R.A**, V 39, 1895.

-Berbrugger.A :" Elhadj Moussa, Ou L'Homme à l'âne et l'Emir Abd-El-Kader", **R.A**, V1, 1856.

د-القواميس والموسوعات:

-**Dictionnaire des communes de l'Algérie -Villes**, **Villages**, **Hameaux**, **Douars**, **Postes Militaires**, **Bordjs**, **Oasis**, **Caravansérails**, **Mines**, **Carrières**, **Sources Thermales et Minérales**, Pierre Fontana Imprimeur Editeur, Alger, 1903.

فهرس الموضوعات

الفهرس العام

إهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة.....**01**

الفصل الأول: التطور التاريخي لمدينة مليانة وأهميتها الحضارية

1 – الموقع الجغرافي وأهميته 08

2–مليانة عبر العصور........13

أ–مليانة قبل الفتح الإسلامي.....13

أ.أ–عصر ما قبل التاريخ.....13

أ.ب–العهد الفينيقي.....13

أ.ج–العهد الروماني 14

ب– مليانة في العهد الإسلامي.....16

ب.أ –التطور التاريخي.....16

ب.ب– الازدهار الثقافي.....18

– علي بن عمران بن موسى المليانى: 644-670هـ.1246-1271م..... 19

– أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى المتوفي سنة 644هـ– 1246م.....19

– أحمد بن علي المليانى أبو العباس المتوفي سنة 715هـ –1315م.....19

– أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي المطماطي المتوفي سنة 680 هـ / 1281 م.....20

–أحمد بن يوسف المليانى المتوفي سنة931هـ –1524م.....20

3 – مليانة في العهد العثماني.....25

4-التركيبة البشرية.....31

أ-قبيلة ريغة 31

ب- قبيلة بوحلوان.....32

ج- بنو زقزق..... 32

د- بوراشد 32

هـ - هراوات 32

و- الطيبيين 32

ز- خوبازة 33

ح- بطحية 33

ط- بني بودوان.....33

ي- بني بوعتاب.....33

ك- جندل 33

ل- بني حامد.....33

م- بني فاطم.....34

ن- مطماطة.....34

س- اتحاد براز.....34

ع- بني فراح.....34

ف-عبيد.....34

ص- موهابة، صباحية وعريب.....35

ث- العطاف 35

5-الوضع الإقتصادي لمليانة.....35

أ- الزراعة.....35

ب- الصناعة.....36

ج- التجارة.....36

الفصل الثاني: المقاومة الوطنية بمليانة قبل معاهدة التافنة 1837م

1- مليانة ومبايعة الأمير عبدالقادر.....40

أ-مليانة قبل المبايعة.....40

أ.أ- التدخل المغربي في مليانة.....41

أ.ب- معاهدة دي ميشال وآثارها.....45

ب-مليانة مقاطعة من مقاطعات الأمير عبد القادر.....50

ب.أ-مراسلات الأمير عبدالقادر مع الحاكم العام الفرنسي دروي ديرلون.....50

ب.ب-مبايعة أهالي مليانة للأمير عبد القادر.....52

2-التنظيمات الإدارية والعسكرية.....55

أ-التنظيمات الإدارية:.....55

أ.أ-خلفاء الأمير عبد القادر على مليانة.....57

أ.ب- حدودها الإدارية.....57

أ.ج- التركيبة القبلية لكل آغاليك.....58

ب-التنظيمات العسكرية.....61

ب.أ-جيش مقاطعة مليانة.....62

ب.ب-الحصون والقلاع وأبراج المراقبة ،معسكرات ،مصنع للأسلحة، والمناجم.....64

ب.ب.أ- برج المراقبة بزكار.....64

ب.ب.ب- معسكر بوخرشوفة.....64

ب.ب.ج-حصن تازة.....64

ب.ب.د- مصنع الأسلحة بمليانة.....66
1- موقعه ووصفه.....66
2- أهمية موقع المصنع.....67
3- طريقة تشغيل المصنع.....67
4 - منتوجات المصنع.....67
ب.ب.هـ-المناجم.....68
1- منجم زكار.....68
2-منجم الونشريس.....68
3- منجم بلال.....68
ب.ب.و- القلاع.....69
1- قلعة بلال.....69
2- قلعة شرشال.....69
3-المقاومة الوطنية بمليانة قبل1837م 70
أ- المقاومة بمليانة قبل مبايعة الأمير عبد القادر 15 أفريل 1835.....70
ب- مقاومة مليانة كمقاطعة في دولة الأمير 1835- 1837.....71
ج- شخصية محمد بن علال.....79

الفصل الثالث : احتلال مدينة مليانة ونهاية المقاومة الوطنية بها 1840

1-معاهدة التافنة وإحلال السلام30 ماي 1837.....83
أ-الظروف العامة لعقد المعاهدة.....84
أ.أ-بالنسبة للأمير عبد القادر والمقاومة الوطنية.....84
أ.ب-بالنسبة للاستعمار الفرنسي.....84

ب–عقد معاهدة التافنة 30 ماي1837.....86

2–نقض معاهدة التافنة وعودة الحرب.....90

أ–مشروع تعديل معاهدة التافنة.....91

ب–حملة الأبواب الحديدية – حملة البيبان–.....98

3–اعتماد فرنسا سياسة التوسع واحتلال مدينة مليانة جوان1840.....102

أ–الحملة الفرنسية على مدينة مليانة 4–9 جوان 1840.....106

أ.أ–دوافع الحملة الفرنسية على مليانة.....107

أ.ب–إستعدادات الحملة الفرنسية.....108

ب–سير الحملة الفرنسية على مليانة 4 –9جوان 1840.....110

ب.أ–معركة أسوار مدينة مليانة.....111

ب.ب–محاصرة الحامية الفرنسية بمليانة.....114

ب.ج–نتائج الحملة الفرنسية على مدينة مليانة.....118

ج–استشهاد محمد بن علال.....120

خاتمـــة.....124

قائمة المـــلاحق 127

قائمة المصادر والمراجع 154

فهرس الموضوعات 165